وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

العنـوان:

الهجرات الموريسكية الأندلسية للبلاد المغاربية بعد محاكم التفتيش 897– 1018 هـ/ 1492–1609م

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص: تاريخ المغرب الحديث و المعاصر

إعداد الطالبتين:

- مايدي وهيبة
- طالب سليمة

تحت إشراف الأستاذ:

بن سعيدان محمد

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إن أسمى عبارات الحمد والشكر العطرة، نرفعها تواضعا إلى رب العزة ذو الجلال والإكرام على ما أعطانا من النعم المتوالية والتوفيق والخير العميم.

ثم نخص بالشكر والتقدير الأستاذ المشرف "بن سعيدان محمد "لما بذله من جهد في إنهاء هذه الرسالة من خلال ملاحظاته المنهجية القيمة وصبره على تصحيحها حرفا حرفا.

كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة المناقشين وأساتذتنا الكرام "قسم العلوم الإنسانية" الذين لم يبخلوا علينا بالنصائح والمعلومات.

كما نتوجه بالشكر والامتنان لكل من بادر في مساعدتنا لإتمام هذا العمل.

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

اللهم صلي على من بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار،أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد "والدي العزيز".

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي"أمي الحبيبة".

إلى الروح التي سكنت روحي إلى أبو عبد الرحمان وفاطمة الزهراء زوجي الغالي.

إلى الشموع التي تنور ظلمة حياتي إلى من بوجودهم أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها، إلى من عرفت معهم معنى الحياة، إخوتي"صفي الدين،عبد الهادي وزوجاتهم، أم مهدي، أم مرام وأزواجهن، إبراهيم، الحاجة مريم، أيمن،هيام"

إلى ريحانة البيت وبهجتها "خديجة"

إلى رفيقة دربي، إلى القلب الطيب والنوايا الصادقة، إلى من رافقتني في مشواري الجامعي وسارت الدرب معي خطوة خطوة:طالب سليمة.

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي، إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت، إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير، إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي:حنان، فريحة، راوية، وهيبة، فاطنة، عجيلة، فايزة، زوليخة...

إلى عائلتي الثانية، عائلة عزوزي كل فرد باسمه

وهيبـــــة

إهداء

أهدي ثمرة هذا المجهود والعمل المتواضع إلى أغلى ما لدي في الوجود إلى والدتي الغالية "فتيحة" التي سهرت وتعبت والتي غمرتني بحنانهاودعائها. دون أن أنسى أمي الثانية الغالية و العزيزة "عائشة"

والدي العزيز"عبد العزيز" الذي تعب من أجل وصولي إلى ما أنا عليه.

حفظهما الله ورعاهما.

إلى هواء قلبي ورفيق حياتي زوجي العزيز حفظه الله لي من كل شر ورعاه.

إلى كل إخوتي وأخواتي وازواجهم الأعزاء كل باسمه.

إلى كل أفراد عائلتي الذين لم يبخلوا عليا بالنصائح والإرشادات دون ان انسى عائلة زوجي كل باسمه، إلى كل أساتذة العلوم الإنسانية، كما أخص بالذكر أستاذي المشرف الذي لم يبخل علينا بالنصائح والإرشادات

"بن سعيدان محمد"

إلى فوج"02"خاصة رفيقات دربي ومساري الدراسي: وهيبة مايدي، دقموسي فايزة، بيري نور الدين.

سليمـــة

قائمة المختصرات المستعملة:

1-باللغة العربية:

ج:جزء

د.ت:دون تاريخ الطبع

د.م.ج:ديوان المطبوعات الجامعية

ش.و.ن.ت:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ص:صفحة

ص ص:حصفحتان فما أكثر

ط:طبعة

ع:عدد

م.ع.ن.ت:الشركة العربية للنشر والتوزيع

مج:مجلد

تر:ترجمة

تح:تحقيق

تع:تعريب

إلخ:إلى آخره

و.ت.أ.ش.د:وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

هـ:هجري

م:ميلادي

2-باللغة الأجنبية:

Pp: plusieurs pages

p: page

N°:Numéro

مقدمة

شهد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي أحداثا تاريخية عديدة ومهمة صنعت مساره التاريخي وتنوعت من سياسية واجتماعية وثقافية, هذه الدراسة تتناول أحد أهم أحداث تاريخ المغرب العربي والأندلسي لتزيل الغموض عن مرحلة مهمة، فهي تعالج الهجرات الموريسكية للبلاد المغاربية بعد محاكم التفتيش سنة 1609م، فالحضور الموريسكي في العالم المتوسطي خلال العصر الحديث أدى إلى تغيير الخارطة الجيوسياسية لمنطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ليصبح الصراع ذا أبعاد عالمية, وبموجبه أصبحت البلاد المغاربية محورها الرئيسي وخاصة بعد تدفق تيار الهجرة الأندلسية على سواحل المغرب العربي.

وقد تميزت هاته الفترة المخصصة للدراسة باضطراب الأوضاع السياسية في كل من الأندلس والمغرب العربي هذا الأخير الذي تعرض لحملات إسبانية متتالية واشتداد حروب الاسترداد النصرانية التي تعود جذورها لوقت مبكر.

وللموضوع أهمية كبيرة لأنه يسلط الضوء على الصراع الإسلامي الاسباني الطويل، الذي نتج عن سقوط معظم القواعد بيد العدو، فانكمشت رقعة الأندلس لتنحصر في مملكة غرناطة،التي قدر لها الصمود أمام هجمات الممالك المسيحية مدة قرنين ونصف من الزمن،لكن بعد أن اتحدت مملكتا الأرغون وقشتالة وبهذه الوحدة استولى على آخر معقل للمسلمين،وبسقوط غرناطة بدأت مرحلة مؤلمة ومؤسفة لشعب مغلوب وعدو خائن نقض الشروط بندا بندا،كما تبحث هذه الدراسة في أسباب الهجرة ومناطق توافد المهاجرين.

1- دواعي اختيار الموضوع:

لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع بديهي بل إن مطالعتنا لبعض جوانب التاريخ الأندلسي لفت انتباهنا لموضوع الهجرة الأندلسية إلى المغرب العربي و الظروف التي أحاطت بها والنتائج التي تمخضت عن استقرار الجالية الأندلسية في كل من: المغرب الأقصى ، الأوسط ، الأدنى وطرابلس الغرب دفعنا إلى تناول هذا الموضوع حيث أنه يمثل أهمية بالغة بالنسبة لتاريخنا الحديث، إذ أن أحداث الأندلس كانت محور الصراع في حوض المتوسط لعدة قرون .

والواقع أن موضوع الأندلسيين المورسكيين والعالم المتوسطي قد تم تناوله في أشكال مختلفة و متعددة .

ونظرا لما ترتب عن الهجرات الموريسكية من نتائج سلبية وإيجابية سواء كانت على إسبانيا أو على البلاد المغاربية ككل، فقد ارتأينا أن نخص هذا الموضوع بالدراسة للبحث في مخلفاتها.

وكل ذلك شجعنا لتناول هذا الموضوع والتعرف من خلاله على حيثيات الهجرة المورسكية إلى المغرب العربي.

2-الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

ينحصر الإطار الزماني لهذه الدراسة في أواخر القرن التاسع الهجري / أواخر القرن الخامس عشر ميلادي إلى غاية العقد الأول من القرن الحادي عشر هجري العقد الأول من القرن السابع عشر ميلادي ، وقد حددت هذه الدراسة تاريخين مفصلين بالنسبة لسنة 897هـ1492/م، فهي تمثل سقوط آخر معقل إسلامي تمثل في:غرناطة وبداية مأساة المورسكيين الأندلسيين وأما بالنسبة لسنة 1018هـ\1609م، فهي تمثل سنة الطرد النهائي للمورسكيين الأندلسيين.

2- الإطار المكاني:

فيتمثل في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط منحصر في ضفتين، الضفة الغربية لأوربا ممثلة في المدن الأندلسية، والضفة الشمالية لكل من: المغرب الأقصى،الأوسط، الأدنى، وليبيا.

4-الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة:

ولفهم مراحل الهجرة الموريسكية إلى البلاد المغاربية منذ بدايتها وبالتالي تأثيراتها على المجتمع المغربي يمكننا طرح الإشكال التالي:**هل سقوط غرناطة كان سببا في هجرة الأندلسيين نحو البلاد المغاربية؟ أم أن محاكم التفتيش التي نصبها الإسبان هي التي أجبرتهم على ذلك ؟**

ويندرج ضمن هذا الإشكال عدة تساؤلات:

1-مادلالة مصطلح الموريسكيين؟

2-ماهي الأسباب والدوافع التي أدت إلى الهجرة الأندلسية؟وما مراحلها؟

3-منذ متى بدأت الهجرات الموريسكية إلى البلاد المغاربية؟

4-ماهي أماكن إستقرار المهاجرين الموريسكيين؟

5-ماهي العقبات التي واجهت المهاجرين الأندلسيين في هجراتهم إلى شمال إفريقيا؟

5-الخطة المعتمدة في الدراسة:

للإجابة عن هذه الإشكالية المطروحة قسمنا بحثنا إلى أربعة فصول كل فصل إلى مجموعة من المباحث وخاتمة تحتوي على النتائج المتوصل إليها، وذيلناها بملاحق للتوضيح وهي كالتالي:

الفصل الأول:بعنوان الوضع السياسي في إسبانيا قبل سقوط غرناطة1492م، عالجنا فيه مصطلح الموريسكيين وإتحاد المملكتين الكاثوليكيتين وما نتج عن، وقيام الثورات ضد محاكم ودواوين التفتيش ثم صدور قرارات الطرد.

الفصل الثاني: ركزنا فيه حديثنا عن الهجرات الموريسكية نحو المغرب الأقصى وظروف انتقالهم،في العهد السعدي الأول والعهد السعدي الثاني،كما تطرقنا إلى أهم الأحداث التي تمخضت عن تواجد الجالية الأندلسية في المغرب الأقصى.

الفصل الثالث:تناولنا فيه الحديث عن الهجرات الموريسكية إلى المغرب الأوسط، وركزنا فيه عن مراحل الهجرة الأندلسية خصوصا بعد سنة 1609م،بعد إصدار قرار الطرد النهائي.

الفصل الرابع:وفيه خصصنا الحديث عن الهجرات الموريسكية نحو المغرب الأدنى، ومراحلها وظروف انتقال الموريسكيين الأندلسيين، ومناطق استقرارهم.

الخاتمة

الملاحق

6-المنهج المتبع في الدراسة:

التزمنا في هذه الدراسة بالمنهج التاريخي الوصفي التحليلي لكونه مناسبا ويصلح كمنهج لوصف الأحداث والحقائق التاريخية كما استعنا بالمنهج التركيبي لتركيب الأحداث التاريخية،ويتمثل هذا المنهج في الوقوف على المصادر التاريخية المتصلة بالموضوع واقتباس المادة العلمية منها ثم مقارنتها وتحليلها واعتمادا على عدة مراجع المتخصصة منها والعامة.

7-عرض المصادر والمراجع:

أولا:المصادر:

لكي تكون هذه الدراسة موثقة اعتمدنا في انجازها على عدة مصادر خاصة بالأندلس وأخرى عامة عن البلاد المغاربة والأندلس ومنها ما يتعلق بالسير والتراجم والجغرافيا،واهم هذه المصادر هي:

- كتاب"**ناصر الدين على القوم الكافرين**": لأحمد بن قاسم المعروف بالشهاب الحجري،حيث تعرض فيه لمحنة الموريسكيين ورحيلهم إلى بلاد المغرب،ولم يقف عند هذا الحد بل شرح حتى المعانات التي تعرضوا لها في عرض البحر،أفادنا كثيرا في معرفة تعداد المهاجرين الأندلسيين.
- كتاب"**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**":لأحمد المقري والذي عرض فيه فصولا من سقوط غرناطة ومعانات المسلمين بعدها،إضافة إلى استغاثة الموريسكيين بالسلاطين العثمانيين.
- كتاب"**المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**":لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المعروف بابن أبي دينار القيرواني،يتضمن هذا المؤلف الأحداث التي عرفتها افريقية"تونس" منذ الفتح الإسلامي إلى غاية دخول العثمانيين إلى تونس.
- كتاب"**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**":لعبد الرحمن بن خلدون ويعتبر من أهم المصادر في دراسة تاريخ المغرب لأنه يتضمن معلومات وافية ومادة تاريخية غزيرة عن المغرب الأدنى والأندلس خلال الفترة المدروسة.
- كتاب"**الفاسية في مبادئ الدولة الحفصية**":لأبي العباس احمد بن علي الشهير بابن قنفذ القسنطيني، وهذا الكتاب يتضمن تاريخ الدولة الحفصية بداية من تأسيسها وينتهي إلى عهد أبي فارس عبد العزيز،وقد استعرض فيه بإيجاز سير الحكام الحفصيين مع التركيز على أهم الأحداث التاريخية.
- كتاب"**وصف إفريقيا**":ألفه محمد بن حسن الوزان عام 933هـ/1526م وقد تناول بعض مساهمات الموريسكيين في إعادة بناء مدينة تيطوان الجديدة.

- كتاب"**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**":ركز المؤلف المجهول في هذه الكتاب على الأسباب التي أدت إلى سقوط غرناطة، ونزوح المسلمين إلى بلاد المغرب.

.

8-الصعوبات المعترضة:

مامن باحث في التاريخ إلا وتعترضه صعوبات ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة:

- نقص المصادر المتخصصة بصورة مباشرة في موضوع الهجرة الأندلسية مقارنة بالمصادر العامة التي تناولت تاريخ المغرب والأندلس والتي تحتوي على إشارات لبعض جوانب الموضوع، وأغلب المصادر وجدناها باللغة اللاتينية.
- العقبة التي كانت بمثابة العائق الكبير هو افتقارنا لمصادر تمدنا بمعلومات عن الهجرات الموريسكية نحو ليبيا والتي تكاد تنعدم لذا لم نتطرق لها في بحثنا هذا.
- ضيق الوقت المتاح.
- بعض المصادر باللغة الأجنبية مما يتطلب جهد إضافي ووقت في الترجمة ثم التحليل.

الفصل الاول

الفصل الأول:الوضع في إسبانيا قبل سقوط غرناطة :864-897هـ/1469-1492م

1-شرح مصطلح الموريسكيين

2-استكمال إسبانيا لوحدتها السياسية864هـ/1469م

3-سقوط غرناطة 1492م

4-ثورات الموريسكيين الأندلسيين

-ثورة البيازين 904هـ/1499م

-ثورة البشارات 906هـ/1501م

5-محاكم ودواويين التفتيش

6-أسباب طرد الموريسكيي

رغم الفترة الطويلة التي قضاها العرب المسلمين في بلاد الأندلس،إلا إن الإسبان استطاعوا إخراجهم منها نهائيا، وذلك بسقوط آخر معقل لهم،مدينة غرناطة في الثاني من ربيع الأول 897ه/الثاني من جانفي 1492م،كانت الوحدة الاسبانية أو ما يعرف بالزواج السياسي هو الممهد لهذا السقوط فأعقبته مطاردة رهيبة للموريسكيين الأندلسيين، وعلى هذا يتبادر لأذهاننا تساؤل:من هم الموريسكيون؟ وما هي الأوضاع السائدة آنذاك؟

1- شرح مصطلح الموريسكيين:

قبل الخوض في الوضع السياسي باسبانيا يجدر بنا الوقوف عند مصطلح "الموريسكيين"الذين عرفوا مدة ثمانية قرون من التواجد في اسبانيا بمسلميالأندلس ,فالموريسكيين أو الموريسكوس مصطلح اسباني "Moriscos" ’إذ يرى أحدهم :إنأصل الكلمة لاتيني إغريقي من كلمة موري"Mauri"وتطلق على مجموعة ذات بشرة سوداء واصل الكلمة مشتق من الكلمة الإغريقية "Amaurus"ومنها اشتقت كلمة مورو "Mauro" ويقصد به شديد السمرة [1]

وتتفق معظم الدراسات التاريخية على إن مصطلح الموريسك"Moriscos" استعمل لنعت مسلمي الأندلس[2]أو العرب المنتصرين بعد سقوط غرناطة 1492م ,الذين فرض عليهم التنصير القسري مابين 1499-1526م [3] .

ويرى آخرون بأنهم المسلمون الذين بقوا في إسبانيا بعد ذهاب دولة الإسلام نهائيا من شبه الجزيرة الأيبيرية بسقوط غرناطة[4],وقد تطرق إلى ذلك الباحث ميكال دي ايبالز"M.de Epalza"بقوله :"..والمغاربة في وقتنا الحاضر يطلق عليهم"Magrébiés" أو ينسبونهم إلى أوطانهم الأصلية (تونس أو الجزائر ,المغرب أو ليبيا),والإسبان بالجملة يسمون المغاربة "Mores" في الكتب

1 – عبد الله حمادي: الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس(1462-1616), المؤسسة الوطنية للنشر،الجزائر,1989,ص50.

2 – الأندلس :وهي كلمة أعجمية لم يستعملها العرب في القديم,وإنما عرفتها العرب في الإسلام, وقد جرى على الألسن إن تلتزم الألف واللام وهي جزيرة كبيرة فيها عامر وغادر,تغلب عليها المياه الجارية, والشجر والتمر والرخصة ,والسعة في الأحوال أنظر: اليعقوبي, البلدان, دار الكتب العلمية, لبنان, 2002، ص192 .

3 – حنيفي هلايلي:أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي,دار الهدى,الجزائر,2010,ص4 .

4 – مملكة غرناطة:تشمل ثلاث ولايات كبيرة:ولاية غرناطة في الوسط ,وولاية المرية في الشرق وولاية مالقة في الجنوب أنظر :خليل إبراهيم السامرائي وآخرون ,تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الوطنية ,ط1,ليبيا ,2000,ص 292.

الأدبية وفي الحديث اليومي الشعبي ,فالكلمة "Moriscos" يطلق على آخر المسلمين في اسبانيا تحت الحكم والعادات المسيحية حتى هجرتهم الأخيرة 1614م[1].

و إذا ما بحثنا في أصل المصطلح نجد أنه يعود أصله إلى اللغة البربرية "أمور" وتعني البلد أو الدولة أو القسمة ودخلت هاته الكلمة اللغة اللاتينية وأصبحت "Mauri-Maurus" وتعني سكان المغرب[2].

ويرى ليفي برو فنسال بأن الموريسكيين "Moriscos" كلمة اسبانية تطلق على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد أن استولى عليها الملكان الكاثوليكيان[3]

إن جل المؤرخين يعتبرون بداية تاريخ الموريسكيين عند اكتمال عملية الاسترداد المسيحي الملكان فردناند وإيزابيلا سنة 1492م، وفي إطار الزمان وقع تركيزهم على نهاية القرن الخامس عشر إلى النصف الأول من القرن السابع عشر,أما جغرافيا فلم ينحصر تاريخ الموريسكيين في الأندلس بل مناطق مختلفة من اسبانيا ,البرتغال ,المغرب وتونس,الجزائر وفرنسا بل وصل بعضهم إلى القارة الأمريكية، وحاول بعض الكتاب الأوروبيين تسميتهم بالمدجنين مرة والموريسكيين تارة والغرناطيين والبلنسيين والثغريين تارة أخرى[4].

لم تكن عبارة الموريسكيين موجودة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي فقد أطلق بعض المؤرخين المسلمين لفظ المدجنين[5]. فمصدر المدجنين من دجن ومعناه أقام بالمكان إلا أن

1 – ميغال دي ايبالزا:"بعض الوثائق الاسبانية المتعلقة بتاريخ المغرب بين القرنين 13و19",في مجلة الأصالة,مجلة تصدرها و.ت.أ.ش.د, الجزائر . ديسمبر1977,ع52,ص26.

2 – أحمد الكامون,هاشم السقلي:التأثير الموريسكي في المغرب, مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية,المغرب,2010,ص33.

3 – الملكة إيزابيلا وفي روايات إيسابيلا والملك فرديناند وفي رواية فرناندو وأنظر:جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين ,منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان,2011،ص41.

4 – كارديك لوي:الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون, تر:عبد الجليل التميمي, ط2, زغوان,1989 م، ص145.

5 – المدجنين:وهم المسلمون الذين عاشوا في حماية الممالك المسيحية في إسبانيا بعد اشتداد حركة الإسترداد في شبه الجزيرة الأيبيرية منذ سقوط طليلة 478ه/1085م إلى سقوط غرناطة سنة 897ه/1492م, والمدجنين هو مصطلح مشتق من دجن أي قام خاضعا ثم حرف المصطلح إلى"دجل" و"دجر"وصار الموصوف به يسمى"مدجلا"و"مدجرا" أنظر:أحمد الكامون وهاشم السقلي,المرجع السابق,ص32.

هذه العبارة لا تعكس الحقيقة لهذه المجموعة ومهما كانت التسمية ومعانيها.فان الموريسكيين هم تلك البقايا العنيدة المجسدة لشخصية الحضارة العربية الإسلامية على الأراضي الأندلسية.

2- الوضع السياسي في إسبانيا "864-897هـ/1469-1492م"

أخذت الدول الأوروبية تتخلص من مظاهر القرون الوسطى، منذ أواخر القرن الخامس عشر ميلادي, إذبدأت تتشكل الدولة القومية الحديثة والتي كانت جبهة مسيحية حقا وحقيقة هذه الأحداث قلبت واجهة اسبانيا ومن أهمها :

- **استكمال اسبانيا لوحدتها السياسية 864هـ/1469م:**

كانت الخريطة السياسية لشبة الجزيرة الأيبيرية[1]في القرن الخامس ميلادي التاسع الهجري تتألف من عدة كيانات سياسية,تمثلت في الممالك الثلاث المسيحية مملكة قشتالة[2] مملكة الأرغون [3] مملكة النفار[4] والرابعة مملكة غرناطة[5]الإسلامية حيث أن الممالك الثلاث الأولى كانت تسعى وترغب في التوسع والانتشار خارج حدودها[6] فقد سعى البرتغاليينإلى اكتشاف المحيط الأطلسي والسيطرة على السواحل الغربية لإفريقيا,أما الأرغون فقد بسطوا سيطرتهم على جزء كبير من غرب البحر الأبيض المتوسط,أما النفار فلم يكن لها شان يذكر ,أما بالنسبة لقشتالة فكانت تعاني من عدة

1 - الجزيرة الأيبيرية: سميت بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الإبر مجهول الأصل,سميت بالأندلس عندما كانت حاضرة المسلمين خلال ثمانية قرون ثم عرفت بعد ذلك بإسبانيا,أنظر:محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران،الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1978،ص137-138.

2 - قشتالة:إمارة مسيحية عاصمتها مدينة برغش ,انضمت إلى النفار وضمت إليها ليون سنة 1469م, انظر:محمد فاروق الإمام :معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا ,دار المأمون للنشر والتوزيع، الرياض،2008,ص55.

3 - الأرغون بالأوروغوانية:"Reinod'Aragon"مملكة قديمة في شرق شبه الجزيرة الأيبيرية أنظر:ويكيبيديا 2017/02/02 على الساعة 12:04 .

4 - النفار :"Navarra"منطقة تقع في شمال إسبانيا ,عاصمتها مدينة بنبلونة أنظر:الياقوت,معجم البلدان، مركز زايد للتراث والتاريخ,الإمارات 2004،ص507.

5 - غرناطة: هي أجمل بلاد الأندلس على الإطلاق فقد حباها الله بموقف جميل فريد من نوعه رائع الوصف والحسن، وهي تسكن في واد عميق يمتد منحدرا من الشمال الغربي لجبال "سيرانيفادا"وتحيط بها الغابات العالية من الشرق والجنوب، أنظر:أحمد رائف ,وتذكروا من الأندلس الإبادة,ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر، ص29.

6 - حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص115-118.

حروب داخلية,وفي خضم هذه الأوضاع توحدت مملكتا الاراغون وقشتالة عن طريــق الزواج السياسي[1]. في سنة 1469م/874هـ تزوج فرديناند ملك الأراغون من إيزابيلا[2]،وريثة عرش مملكة قشتالة ووحدوا بذلك جهودهمامن أجل القضاء على غرناطة وعلى الإسلام ككل في الأندلس[3]، وبهذا الزواج الميمون للنصارى والمشؤوم على المسلمين الغرناطيين,أصبحتالأندلس مقسمة إلى ثلاث أقسام:

1-مملكة إسبانية:من إتحاد قشتالة والأرغون وتضم معظم الأندلس.

2-مملكة البرتغال:وتضم غرب الأندلس.

3-مملكة غرناطة:منطقة في أقصى الجنوب الغربي لا تتجاوز عشرة بالمائة من أرض الأندلس[4].

وقد شكل زواج فرديناند من ابنة عمه إيزابيلا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وبالضبط في أكتوبر 1469م/874هـ ابرز العوامل لتجاوز الخلافات وتحقيق الوحدة السياسية[5],ورغم رفض هنري الرابع [6]،تزويج أخته من ابن خوان الثاني [7](فرديناند)ملك الأرغون,خاصة بعد ما وجدوا منافسين له بطلب الزواج منها,إلاأنإيزابيلا ولبعد نظرتها والإمعان في الأمر، فضلت أخيرا الزواج بابن عمها ,فتم عقد الزواج في مدينة "بلد الوليد" حيث كانت الأميرة في حفل خاص لم يشهده سوى القليل من الأصدقاء ,ونظرا لمعارضة أخيها فقد تعهد فرديناند بمجموعة من الشروط أهمها :

1 - أحمد الكامون,هاشم السقلي, المرجع السابق، ص50.

2 - بعد وفاة ملك قشتالة هينري الرابع يوم2 ديسمبر 1474م، أصبحت إيزابيلا ملكة على قشتالة, أما فرديناند فتمكن من اعتلاء عرش الأرغون بعد وفاة جون الثاني سنة 1479م انظر :حنيفي هلايلي,المرجع السابق ,ص116.

3 - مريم بوعامر: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري، رسالة ماجستير بتاريخ المغرب الإسلامي,تلمسان ,2009-2010،ص41.

4 - طارق سويدان:الأندلس التاريخ المصور,شركة الإبداع الفكري,ط1,الرياض,2005,ص451.

5 - أحمد الكامون ,هاشم السقلي,المرجع السابق,ص475.

6 - هنري الرابع :أخ الملكة إيزابيلا كان يعارض زواجها من فرديناند ,توفي سنة 1474م , اعتلت أخته عرش قشتالة بعد موته , أنظر: نفسه ص48.

7 - خوان الثاني:أب فرديناند سعي في أن يزوج ابنه فرديناند من ابنة عمه إيزابيلا القشتالية، وبعد وفاته خلفه ابنه سنة 1479م أنظر:عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي, دار القلم, ط2, بيروت، 1981،ص259.

- احترام قوانين قشتالة وتقاليدها.
- أن يجعل مقر إقامته فيها وألا يغادرها دون إذنها.
- أن لا يجري أي قرارات أو تغييرات دون استشارتها.

كما تعهد بان يتابع الحر ب ضد المسلمين، ويعتبر هذا الشرط الأخير والشرط الأساسي لهذا الزواج[1]، اعتلت إيزابيلا عرش قشتالة سنة 879هـ/1474م، بعد وفاة أخيها وبمرور خمس سنوات وفي سنة 884هـ/1479م ورث فرديناند عرش الأراغون ,بعد إن توفي والده خوان الثاني ضم مملكته وبلنسية وقطالونيا وصقلية إلى قشتالة,فبينما كانت هذه الممالك النصرانية تتحد كانت الممالك الإسلامية تزداد تفككا[2].

اختار كل من فرديناند وإيزابيلا لقب الملكين الكاثوليكين وهذا ما يفسر مدى التعصب الديني والرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين وإبعاد حدود الإسلام خارج شبه الجزيرة الأيبيرية في إطار الحروب الصليبية [3] المقدسة التي كان يغذيها رجال الكنيسة الكاثوليكية.

وفي هذا الصدد بدا ملوك اسبانيا وصف أنفسهم بالملوك الكاثوليك ,فكل مراسلاتهم حول المسائل الإفريقية ومطاردة الأندلسيين تدل على الطابع الديني والصبغة الصليبية لسياستهم[4] وقد كانت لهذه الوحدة النتائج جد خطيرة على الصعيد الداخلي والخارجي:

-**فعلى الصعيد الداخلي**:تمكن الملكان الكاثوليكيان من تنظيم السلطة وتعديل النظام فالنبلاء أزيل لهم الاعتبار الخاص منذ الحرب الأهلية القشتالية ودخلوا في صف الملكين الكاثوليكين

1 – أحمد الكامون,هاشم السقلي, المرجع السابق، ص 48.

2 – نبيل عبد الحي رضوان:جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، رسالة دكتوراه, جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية ,1987,ص30.

3 – الحروب الصليبية: تشكل غزوا شاملا للبلاد العربية الإسلامية في المشرق والمغرب, اقترن غزوهم بتعصب ديني أدى إلى ارتكاب الصليبين الكثير من الفظائع الوحشية والمجازر البشرية, ويمكننا تحديد الإطار الزماني لهذه الحروب بأنها بدأت في الأندلس قبل أن تبدأ في المشرق الإسلامي وذلك منذ سقوط طليطلة سنة 1085/478م في يد الصليبين أنظر:محمد عبده حتاملة:الإعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق,د,د,ن,الأردن,2001, ص8.

4 – حنيفي هلايلي,المرجع السابق ,ص117.

وأصبحت الأمور العسكرية مرتبطة بالعرش[1]كما خلقت مليشيات قوية ومسلحة محاربة السلب والنهب والأعمال اللصوصية السائدة آنذاك.

– على الصعيد الخارجي:اتجهت اسبانيا نحو مغامرات خارجية,فقوت من وحدتها السياسية في الخارج أكثر من الداخل.

تلك جهود الطرف الاسباني بتحقيق وحدته, ولمواجهة العرب ,لكن كيف كانت جهود الطرف الثاني؟,ماذا فعل العرب لمواجهة هذه الوضعية؟وماهي مجهوداتهم سواء على الصعيدين الداخلي أو الخارجي؟وكيف حصلت الهزيمة؟وسقوط أخر معقل عربي إسلامي بالأندلس[2]

3–سقوط غرناطة 1492م :

يعتبر سقوط غرناطة حدا فاصلا بين حضارتين في إسبانيا .حضارة عربية إسلامية ظلت تصارع الموت لسنوات وحضارة غربية مسيحية تكتسح ما تعتبره دخيلا وتقذف به خارج شبه الجزيرة الأيبيرية[3].

فالإسبان اعتبروا غرناطة أخر حاجز لهم في سبيل توطيد سلطتهم وتوحيد بلادهم فقد ظلت مملكة غرناطة لسنوات تصارع الموت,صامدة ضد هجمات المسيحيين ونلخص هذه العوامل في النقاط التالية :

- تماسك الجبهة الداخلية في مملكة غرناطة,وتصميم رجالها في الدفاع عن بلادهم.
- تنازع الممالك المسيحية في الشمال,إذ حل ذلك دون اتخاذ تدابير حاسمة ضد المملكة الإسبانية.
- مساعدة بني مرين والمجاهدين المغاربة عموما,إذ كانت هذه المساعدة تضفي الحيوية على العمليات العسكرية التي تقوم بها مملكة غرناطة .

1 – محمد رزوق:الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16–17,مطابع إفريقيا الشرق,ط3، الدار البيضاء,1998,ص52.

2 – حنيفي هلايلي,المرجع السابق ,ص118.

3 – محمد رزوق,المرجع السابق ص52.

لكن بمجرد اختفاء هذه العوامل,بدأت مؤشرات السقوط تظهر في الأفق[1] في الوقت الذي كانت فيه مدن الأندلس تسقط واحدة تلو الأخرى بيد النصارى الماردة سنة 627هـ/1230م وقرطبة 633[2]هـ/1236م وبلنسية [3] سنة 636هـ/1238م وإشبيلية [4] سنة 646هـ/1248م وتلتها:

مرسية وشاطبة وجيان,عظمت غرناطة واحتوت ما تبقى من المسلمين من مدن في الطرف الجنوبي من الجزيرة الأندلسية,كما هاجر إليها سكان تلك المدن[5]

استطاعت غرناطة بفضل حصانة موقعها الصمود لفترة أمام ضربات النصارى الذين دانت لهم جميع القواعد الأندلسية الشرقية والجنوبية ولم يبقى لهم سوى الاستيلاء على لوشة سنة 891هـ/1486م,وبلش ومالقة بعد حصار طويل سنة 892هـ/1487م [6]ثم المرية وواد آش سنة 895هـ/1489م التي كانت تحت سيطرة الزغل[7].

بعد سقوط المدن الأندلسية الواحدة تلوى الأخرى,تأكدا الملكان الكاثوليكيان أن سقوط غرناطة مسألة وقت فقط [8]فقد كان المسلمون لا يزدادون إلا ضعفا والعدو تكالبا وشدة[9].

1 – محمد رزوق, المرجع السابق، ص53.

2 – قرطبة:هي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها ,وكانت سريرا لملكها وبها كانت المولوك بني أمية ومنبع العلماء,أراضيها كثيرة الأنهار والأشجار وفيها مدن عدة منها قسطيلة أنظر:اليعقوبي، المصدر السابق, ص193.

3 – بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوة كور,وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة وهي برية وبحرية ذات أشجار وأنهار وتعرف بمدينة التراب أنظر:اليعقوبي،المصدر السابق، ص195.

4 – إشبيلية :مدينة كبيرة عظيمة وليست بالأندلس أعظم منها وهي قاعدة ملك الأندلس وسريره أنظر:اليعقوبي، المصدر السابق، ص,193

5 – حسن علي الشطشاط :نهاية الوجود العربي في الأندلس, دار قباء للطباعة والنشر,القاهرة، 2001، ص60

6 – ج.سكولان : الأندلس, تر:إبراهيم مخور رشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني, ط1, لبنان,1980, ص139.

7 – بعد تسليم الزغل لمرية ووادي آش لفرديناند غادر الأندلس متجها نحو المغرب ونزل بوهران ثم تلمسان وجاء معه الكثيرون الذين أيقنوا أن نهاية الأندلس أمر محتوم أنظر:على حسن الشطشاط, المرجع السابق,ص66-67.

8 – أحمد المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ،تح :مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، ددن،ج1، 1942، ص65.

9 – أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس ,المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2, بيروت، 1988، ص 145.

أرسلا الملكان الكاثوليكيان رسالة إلى أبي عبد الله الصغير يأمرانه بتسليم غرناطة إلا انه رفض مطالبهم ليبدأ بذلك الحصار الطويل لآخر معقل من معاقل المسلمين، بحيث سار فرديناند في أوائل 1491م على رأس خمسين ألفاإلى مرج غرناطة واخذ في إحراق القرى والمزارع وضيقوا الخناق على مدينة في محاولة لإجبارها على الاستسلام[1].وأمام وطأة الحصار وأثاره,اضطر أبو عبد الله الصغير وقادته للدخول في مفاوضات مع الطرف الاسباني,التي انتهت بتوقيع المعاهدة التي نصت على التسليم في 1491م[2] .ويورد المقري قول شاهد عيان:"كان الاستيلاء على مدينة غرناطة آخر ما بقي من بلاد الأندلس للإسلام في محرم عام سبعة وتسعين وثمان مئة ",ثم تقدم من الملك وقبل ذراعه اليمنى ,فسلم وزيره يوسف بن كماشة الإسبان مفاتيح الحمراء والحصون الأخرى,ثم سلمته إيزابيلا ابنه الذي كان رهينة عندها,وتوقف الصغير عند جبل الريحان ليلقي على غرناطة آخر نظرة وهو يردد"الله اكبر" وسمى الإسبان المكان الآنآخر زفرات العربي"وتذكر الرواياتأن والدته عائشة سبقته ثم توقفت وسألت عنه فقيل انه يبكي فقالت:

إبك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال[3]

وفي العام التالي انتقل أبو عبد الله إلى المغرب بعياله وحشمه,حيث أن ملك قشتالة هو من اعد له المراكب العظيمة,حيث ركب مع كثير من المسلمين,ممن أراد الرحيل حتى نزلوا في ريف المغرب ثم ارتحل السلطان أبو عبد الله إلى مدينة فاس[4].

أول ظاهرة ملفتة للنظر بعد رحيل السلطان أبو عبد الله الصغير إلى عدوة المغرب,بدأ مسلمو الأندلس بالهجرة من الأندلس نحو المغرب,كما جاء في شروط التسليم التي سهلت لهم هذه المهمة هي: أن الملكين الكاثوليكيين ملزمان بتوفير السفن لنقل مسلمي الأندلس إلى المغرب مجانا ولمدة ثلاث سنوات[5]

1 – راغب السرجاني: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط, مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة,ط1،القاهرة ,2011، ص 675.

2 – محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ,مكتبة الخانجي, ط4,القاهرة ,1997 ص260.

3 – أسعد حومد: المرجع السابق,ص146.

4 – عبد الرحمن علي الحجي،المرجع السابق، ص577.

5 – خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق،ص304.

لكن ختام هذه المأساة الأندلسية لم يكن بهذا الشكل السريع السهل,بل كانت دونه دماء ودموع وحسرات ومآسي,وتضحيات من كل لون,قدمها المسلمون الأندلسيون دفاعا عن عقيدتهم الإسلامية التي هي أغلى من كل شيء,أمام الطغيان الأعمى والتعصب الأصم الذي استعمل كل وسيلة وتقلد كل سلاح في حرب لا مبرر لها,ضد من أحسنوا إليه معاملة,ووفروا له حضارة,وأقاموا لإنارة الطريق مشاعلا ,وأثاروا الأرض خيرا,وعمروا المكان إنسانية ,بعقيدة الإسلام القويمة وشريعته السمحاء و تعاليمه النقية البيضاء ,فما تعلموا منها ورفضوا خيرها,وقابلوا بذلك محاكم ودواوين التفتيش وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا[1].

4- ثورات الموريسكيين الأندلسيين:

أول الخطوات التي رسمتها الملكة إيزابيلا المتعصبة من أجل تنفيذ سياسة التنصير القصري على المسلمين ,أنها اعتمدت على مجموعة من الأحبار والرهبان , ومنحتهم مناصب في البلاط الملكي , وكان على رأسهم وأخطرهم (الأب خمنيس).

فقد كانت الممالك الاسبانية قد اضطهدت المدجنين (المسلمين الذين ظلوا على دينهم) خلال استردادها القواعد الأندلسية قبل سقوط غرناطة , إلا انه بعد السقوط أصبح الأمر أكثر خطورة

فحرموا من حمل السلاح ,وفرضت عليهم الضرائب دون غيرهم من السكان (المسيحيين)[2] .

ومنذ اللحظة الأولى لدخول الإسبان غرناطة تم توزيع مساحات شاسعة على النبلاء الإسبان وأصبح ملاكها المسلمين أتباعا لهؤلاء النبلاء , وفي سنة 1498م أجريت عملية عزل العناصر الإسلامية من المجتمع الاسباني , ووضعوا في أماكن معينة,ليسهل عليهم السيطرة في حالة الثورة[3].

كانت هذه السياسة التعسفية التي رافقها إحراق خمنيس للكتب العربية, وفي الوقت نفسه عين الأب خمنيس رئيسا مجمع قضاء الإيمان الكاثوليكي (محاكم التفتيش),والتي تأسست في اسبانيا منذ القرن الثالث عشر الميلادي , ولقد أقام الملكان الكاثوليكيان محاكم التفتيش أولا في اشبيلية عام

1 - عبد الرحمن علي الحجي:المرجع السابق، ص559.

2 - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص305.

3 - محمد عبده حتاملة: التنصير القسري ,الجامعة الأردنية , ط1, الأردن , 1980، ص 65.

1480م وفي جميع المدن الاسبانية التي سيطروا عليها وكانت هاته المحاكم سلاحا فتاكا بيد الكنيسة تسحق به كل من لم يذعن لأوامرها فكان من نتائج سياسة خمنيس التعسفية قيام عدة ثورات أهمها:

1-ثورة البيازين في غرناطة عام 1499م/904هـ :

كانت صدور المسلمين تغلي كالمراجل نتيجة نقض الإسبان لعهودهم ومواثيقهم[1] , حيث بدأ أعوان خمنيس بملاحقة العائلات ذات الأصول المسيحية التي اعتنقت الإسلام ,وزجوا بهم في السجون ومازاد الطين بلة وفجر الثورة هو اعتداء أحد رجال الشرطة وخادم للأب خمنيس على إحدى النساء المسلمات ,التي كانت ابنة رجل يبق له أن اعتنق الإسلام , ثم تزوجت رجلا مسلما من أصل اسباني (Elches)[2], وأصبح لها بنون وبنات منه, فطرق المفوض المذكور الباب هو وتابع للكاردينال وقبضوا عليها وعلى أولادها واستاقوهم جميعا بالقوة والإكراه أمامهم إلى السجن , فتجمع الناس في الحي حول هذا المشهد المؤلم, وانطلقت استغاثات المرأة طالبة من إخوانها حمايتها من هذا الاعتداء الصارخ المهين من المفوض , والقسيس التابعين للكاردنال[3]فتدخل الموريسكيون في انتفاضة عارمة , استجابة لصراخ المرأة , وكان الحماس والنخوة تلتهب في صدورهم فدب الهلع والرعب في قلوبهما , وفر الخادم , وقبضوا على المفوض فقتلوه برميه من قبل احد المسلمين بحجر وهرب القسيس لاجئا إلى احد بيوت المسلمين[4]فأخفته سيدة مسلمة صاحبة البيت تحت سريرها وأنقذته من الموت بأعجوبة مؤداها ,أن المرأة الموريسكية حمته وخباته في بيتها وفي ذلك نظرة من زاويتين:

1-رغبة الموريسكية تلك ,بان لا يساء إلى أهلها وذويها ,بدم هاذين الشرطيين فيفتك بهم.

---

1 - محمد رزوق، المرجع السابق، ص71.

2 - "Elches":كلمة إسبانية أطلقت على الإسبان الذين اسلموا ثم أحذتهم الكنيسة ليربوا فيها , ويجبروا على العودة إلى النصرانية ليعادوا إلى ذويهم عيونا,كما كان يفعل بأبناء الموريسكيين أنظر :محمد عبدو حتاملة ,التنصير القسري , المرجع السابق , ص75.

3 - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص306.

4 - فاطنة القويزي: الموريسكيون وتأثيرهم الثقافي في بلاد المغرب خلال القرنين(15-18م)،رسالة ماستر في التاريخ الحديث، جامعة المسيلة، مسيلة ، 2012-2013م/1433-1434هـ،ص27.

2-تعكس الحب الذي كان مايزال يربط بين كثير من الموريسكيين والإسبان.

وفي هاتين دليل صادق على الرغبة الحقيقية لدى الموريسكيين في السلام,على أن لا تنتهك الحرمات ولا تهان الكرامة[1].

سارت حشود الثائرين نحو بيت الكاردينال سبسنيروس في القصبة قرب قصر الحمراء للقضاء عليه وكلهم ثقة أن هذه الحادثة لم تكن إلا بتخطيطه وقد اختار هؤلاء أربعين من بينهم ليمثلوا حكومة موريسكية مستقلة منفصلة عن الاسبان , فاحتمى الكاردنال في بيت حاكم مدينة غرناطة الكونت دي تنديا مستغلا بعض الاحترام والمحبة بينه وبين الموريسكيين وأقنعه بإرسال حملة كبيرة تبيد المنتفضين الموريسكيين في البيازين عن آخرهم , في هذه الأثناء أغلق الثوار الطرقات أمام الحملات العسكرية التي أرسلتها السلطات ورموها بالحجارة ,واستنجدت السلطات بمطران غرناطة (الأب تالافيرا) الذي يحظى باحترام الموريسكيين فهدأ من ثورة الموريسكيين وأقنعتهم حكومتهم بأقواله والتي لا تعدو مجرد الوعود لان مطران غرناطة وغيره يعملون أولا وآخرا لصالح المسيحية والممالك الاسبانية[2].

حاولت السلطات تهدئة أهالي حي البيازين بأساليب ماكرة , منتظرة الفرصة الملائمة للقضاء عليهم ,وفي القوت نفسه هربت حكومة الموريسكيين (حكومة الأربعين) من غرناطة إلى إقليم البشرات خشية التنكيل بهم أو ملاحقتهم من قبل السلطات .

وبعد إخماد الثورة عام 1499م قرر ملك غرناطة تأسيس محاكم التفتيش في غرناطة , التي تتبعت المسلمين بالتعميد , كما منعت أي موريسكي من الدخول إلى غرناطة حتى لا يختلط بأهلها فيثير فيهم روح الثورة كما حرم على المسلمين اللجوء إلى الكنائس لعلها تخفف عنهم عقوبة الإعدام , ويبقى أمام هؤلاء سوى اللجوء إلى المعاقل المنيعة في رؤوس الجبال ومن هناك الغارات على القوات الاسبانية التي كانت تلاحقهم باستمرار وتبيد مجموعات كبيرة منهم[3] . إضافة إلى

1 - محمد عبدو حتاملة: التنصير القسري ,المرجع السابق ,ص76.

2 - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون, المرجع السابق, ص307.

3 - عادل سعيد بشتاوي: الأندلسيون المواركة، مطابع أنترناشيونال برس، مصر،1983 ،ص114،115.

ذلك أصدر الملكان في 1501م أمرا يحرم المورسكيين ممارسة أي عمل له صلة بعقيدتهم ولغتهم , ومما دفع الكثير من الموريسكيين إلى الالتحاق بإخوانهم في رؤوس الجبال[1] .

2- ثورة البشرات عام 1501م/906هـ :

كان من نتائج ثورة البيازين في غرناطة أن ثار إخوانهم في منطقة البشرات الواقعة في جنوب غرناطة, وقد أرسلت الحكومة الاسبانية حملة عسكرية للقضاء على هذه الثورة التي كان يقودها غونثالودي قرطبة و"بولغار" والكونت تنديا ,وقد قامت هذه الحملة بقتل جميع من في قرية "غويخار -سيرا"حيث لم تجد الحملة عندما وصلت هذه البلدة سوى النساء والأطفال والكهول , أما الرجال فقد ذهبوا إلى البشرات لمساعدة إخوانهم الثوار المجاهدين هناك قبل وصول الحملة[2].

وانتقاما من ثوار البشرات ,ارتكب رجال الحملة الاسبانية أبشع المذابح فقتلوا الأطفال الرضع, وأمهاتهم , والشيوخ الطاعنين في السن , دون هوادة أو رحمة , ولم يبقى على احد منهم , ولم يكتفوا بهذه الفعلة المنكرة بل احرقوا القرية والمنازل وتابعت الحملة الاسبانية سيرها إلى أن وصلت "موند-يخار" فوجدت أن كنيستها التي كانت بالسابق مسجدا للمسلمين , قد احرقها الموريسكيون ومما أثار الموريسكيين تحويل مساجدهم إلى كنائس[3] ,كمسجد غرناطة كما حول مسجد البيازين إلى كنيسة ومدرسة سميت (كنيسة المخلص) وفي مدينة غرناطة نصر قسرا أكثر من خمسين ألف شخص, كما اجبر مسلمو الأندلس على لبس السراويل والقبعات واجبروا على ترك لغتهم وتقاليدهم وأسمائهم العربية وحملوا على اعتناق المسيحية واستعمال اللغة والتقاليد والأسماء الاسبانية[4] .

وبالرغم من وسائل العنف والإرهاب التي استعملتها السلطات ومحاكم التفتيش في تنصير الموريسكيين إلا أنهم استمروا في ممارسة شعائر دينيهم بصورة سرية فكانوا يؤدون فروض الصلاة

1 - محمد عبده حتاملة, التنصير القسري، المرجع السابق،ص77،79.

2 - أسعد حومد، المرجع السابق، ص271.

3 - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون, المرجع السابق، ص307.

4 - أنطونيو دومنغيث أورتيث وبيرنارد فانسون: تاريخ الموريسكيين"حياة... ومأساة أقلية"،تر:محمد بنياية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة،ط1،الإمارات،2013،ص22.

سرا في بيوتهم وكانوا يغلقون بيتهم يوم الأحد موهمين السلطات أنهم [1]ذهبوا إلى الكنيسة ,وعندما يتم تعميد أطفالهم في الكنائس يبادرون إلى غسلهم بعد رجوعهم إلى بيوتهم مباشرة, وكانوا يعقدون حفلات الزواج على الطريقة الإسلامية سرا بعد إجراء الاحتفال العلني في الكنيسة، ولهذا أصبحتتعاليم الإسلام وممارسته تقاليد موروثة ,يتوارثها الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيل في حلقات مغلقة لها صفة المجالس السرية , وبعد فشل ثورات الموريسكيين في داخل اسبانيا ,أرسلوا استغاثتهم إلى إخوانهم المسلمين لعلهم يساندونهم في محنتهم ومن هذه الصرخات[2]:

1-بعثوا باستغاثتهم إلى عدوة المغرب , لأن المغرب اقرب البلاد الإسلامية لهم , إلا أن الحالة السياسية المفككة للمغرب في هذه الفترة منعته من إرسال النجدات إلى الأندلس.

2-أرسل الموريسكيون استغاثتهم إلى السلطان بايزيد الثاني سلطان العثمانيين (1481-1512) , واتفق هذا السلطان مع السلطان المملوكي في مصر قايتباي (1468-1496)على إرسال أسطول بحري لنجدتهم عن طريق صقلية[3],إلا أن ظروف السلطانين السيئة حالت دون إرسال مثل هذا الأسطول , فاكتفى السلطان بايزيد بإرسال كتاب إلى الملكين الكاثوليكيين ,بعد ثورة البيازين عام 1499م ,ولم يكن له أي أثر يذكر , ومع ذلك استنجد به الموريسكيون مرة أخرى , فكانت استغاثتهم على شكل قصيدة مؤثرة مطلعها[4]:

سلام كريم دائم متجدد أخص به مولاي خير خليفة

ويبدو أن تاريخ هذه الاستغاثة كان بعد عام 1501م ولم يحرك السلطان العثماني ساكنا, وذهبت الاستغاثة الموريسكية في مهب الريح.

3-أرسل الموريسكيون استغاثتهم إلى الملك الأشرف قانصوه الغوري (1501-1516) سلطان دولة المماليك البرجية في مصر,وأوضحوا له ما وصلت إليه حالهم من إكراه على الارتداد,وانتهاك

1 - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص328.

2 - محمد عبده حتاملة, التنصير القسري،المرجع السابق،ص100.

3 - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ص384.

4 - أحمد المقري، المصدر السابق, ص109،115.

للحرمات ودعوة ليتوسط لدى الملكين لكي يحترما معاهدات الاستسلام , ويوقفا الأعمال البربرية ضدهم فأرسل سلطان مصر وفدا لملكي اسبانيا , بأنه سيجبر المسيحيين المقيمين في بلاده على الدخول في الإسلام بالقوة إذا لم يحترم الملكان الاتفاقيات بينهم وبين مسلمي الأندلس . أرسل الملكان الاسبانيان وفدا إلى مصر في عام 1501م، يتزعمه رئيس كاتدرائية غرناطة, والذي استطاع أن يغرر بسلطان مصر ويوحي له بأن الموريسكيين في حالة جيدة ومعاملتهم حسنة , وأن لهم الحقوق والواجبات التي يتمتع بها الإسبان.

ولم يتابع سلطان مصر الأمرلأنه كان مشغولا بحركات السلطان سليم الأول وعندما خابت الآمال التي كان يعلقها مسلموالأندلس على إخوانهم في الدين في بلاد المغرب والمشرق , لم يبقى أمامهم سوى خيارات ثلاث هي :

الموت أو التنصير القسري . أو الهجرة القسرية خارج البلاد .

وفضل الكثير منهم البقاء في بلادهم , والقبول بالأمر الواقع , والتنصير القسري ولو بالظاهر حيث صعب عليهم مفارقة الأوطان العزيزة , وهناك فريق آخرأبت عليه عزة الإسلامأن يعيش ذليلا , أو متنصرا فترك البلاد وهاجر إلى عدوةالمغرب ,الجزائر, تونس , ليبيا ومنهم من هاجر إلى مصر وبلاد الشام , وقسم منهم ذهب مع الرحلات الاستكشافية إلىأمريكا الوسطى والجنوبية .

ولم يكتف الملكان الاسبانيان بتنصير وتهجير الموريسكيين , بل لاحقوهم إلى بلاد هجرتهم وبخاصة بلاد المغرب العربي التي تعرضت مدنه- التي سكنها الموريسكيون-لغارات الإسبان البحرية[1].

5-محاكم ودواوين التفتيش:

يصعب إعطاء تاريخ محدد لنشوء محاكم التفتيش, لكن فكر التحقيق ظهرت في وقت مبكر[2].فقد ظهرت فكرة تأسيسها منذ أوائل القرن الثالثعشر ميلادي ,حيث كان الأساقفة يعاقبون المارقين والملحدين بأمر من الباباوات ,وتأسست هاته الدواوين في اسبانيا خلال عهد الملكين الكاثوليكيين ايزابيلا وفرناندو(1474-1516) فكانت أوائل هذه المحاكم في:اشبيلية وقرطبة وجيان وبلد

1 - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق, ص309،310.

2 - محمد رزوق, المرجع السابق، ص72.

الوليد سنة 1482م،أعلن الفاتيكان بإنشاء مجلس أعلى لمحاكم التفتيش تشرف على شؤون الدين الكاثوليكي.وبسبب جهاز محاكم التفتيش أضحى الموريسكيون عبيدا بدون سيادة[1]، فبعد صدور قرارالتعميد الإجباري ضد الأندلسيين سنة 1502م أصبحت محاكم التفتيش تتابع الموريسكيين بصرامة[2]،فقد وزعت محاكم التفتيش قائمة تشمل مظاهر التي تنبئ عن أتباع ملة الإسلام، من طرف الموريسكيين وفتح باب الوشاية بهم من طرف العناصر الاسبانية ,والجدير بالذكر أن جل أملاك الكنيسة ومحاكم التفتيش تأسستأساسا من الأحباس والاستيلاء الغير شرعي لأملاك الموريسكيين, لهذا وزعت محاكم التفتيش بيانا يشمل مظاهر أتباع الدين الإسلامي والوشاية بأصحابها والمتمثلة في :

- إذا تم الاحتفال بيوم الجمعة.
- إذا احترموا تعاليم الإسلام الخمسة.
- إذا تزوجوا على النهج المحمدي .
- إذا غنوا الأغاني العربية.
- إذا غسلوا موتاهم ولفوهم في كفن .
- سماع أن الدين الإسلامي هو الأحسن وأنه الطريق إلى الجنة[3].

وقد تسبب البيان في محاكمة الآلاف الذين وقعوا في الفخ بحيث حكم عليهم بالسجن والجلد والاسترقاق والتهجير,وإجبار الموريسكيين على تغيير أسماءهم العربية بأخرى مسيحية وقد جاء هذا المظهر في سجلات المحاكم التفتيش.

احتار الموريسكيين في بادئ الأمر في كيفية ممارسة الشعائر الدينية وسط المجتمع المسيحي الضاغط,وتحت المراقبة الشديدة والمستمرة من طرف محاكم التفتيش[4].

1 – حنيفي هلايلي, المرجع السابق, ص90.

2 – محمد زروق، المرجع السابق,ص62.

3 – حنيفي هلايلي:(القضية الموريسكية في الفضاء الجزائري العثماني على ضوء الفرمانات العثمانية)، مجلة الحوار المتوسطي, ع 02 ،جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، مارس2014، ص38،39.

4 – حنيفي هلايلي,أبحاث ودراسات ,المرجع السابق ,ص97.

فقد اتبع الموريسكيون أسلوب التقية بكتمان إسلامهم وإظهار اعتناقهم للمسيحية,على الرغم من وسائل الإرهاب والإقصاء إلى غاية سنة 1614م أي أن سياسة محاكم التفتيش والكنيسة قد فشلت,بحيث حاول الراهب الاسباني بدرو لونقا pedro longas دراسة عقيدة الموريسكيين

وتحليل أركان الإسلام ومحاولة تحديد الأطر العامة للإسلام الخفي المتبع في اسبانيا من خلال وثائقمحاكم التفتيش[1].

ومن أسباب إستعمال الموريسكيين لأسلوب التقية مايلي:

- تعنت محاكم التفتيش ورفضها للحوار والتسامح والتعايش.
- ازدياد الضغط الكنسي على المسلمين بعد صدور مراسيم التعميد القسري.
- نقض بنود اتفاقية تسليم غرناطة 1492م والتي تعهد فيها الملكان الكاثوليكيان باحترام الحريات وتعاليم الإسلام.
- الصفات القبيحة التي ألصقتها الكنيسة بالموريسكيين.
- تسامح الإسلام لأتباعه بالتستر في أداء الواجبات الدينية.
- ظهور فتاوى تجبر استعمال التقية في الأندلس ولأول مرة [2]

5-أسباب طرد الموريسكيين :

عندما نرجع إلى الخلفيات نلاحظ أن قرار الطرد صدر منذ سنة 1502م، عندما أصدرت الملكة إيزابيلا مرسوما يخير الأندلسيين جميعا بين التنصير أو الرحيل[3].

وقد اختلفت الآراء وتباينت المواقف إذ كانت مقترحات رجال الحكومة الاسبانية حول موضوع تهجير وطرد تلخصت في تسعة حلول منها :

1 - حنيفي هلايلي, مجلة الحوار المتوسطي ,المرجع السابق ,ص44.

2 - خليل إبراهيم الكبيسي: (هجرة الأندلسيين وتهجيرهم إلى المغرب العربي)،مقال،كلية الآداب، جامعة بغداد، ص14.

3-Marmol carvajal,Historia de la rebilion y castigo de los moriscos,p156

الحل النهائي والأخير,الحل التاسع الذي يقوم على طرد الأندلسيين خارج اسبانيا و الذي تم تطبيقه سنة 1018-1609 الذي كان عبارة عن توسيع لسياسة الريكونكستا[1]

وتلخصت أسباب طرد الموريسكيين في ثلاثة أسباب :

السبب الأول : فشل سياسة الإدماج يرغم جميع المحاولات التي قامت بها السلطات الاسبانيةالسبب الثاني : الذي ورد في النص الرسمي الاسباني وجاء فيه:"من المعلوم أن موريسكي هذه المماليك القشتالية تقدموا أكثر فأكثر في تنفيذ مشاريعهم الشنيعة وبما أنني علمت بنفسي من تقارير صادقة وصحيحة أنهم في إصرارهم على الرد والضلال , أرادو, ويريدون دائما الشر والفساد لمملكتنا عن طريق سفراءهم وكذلك بسبل أخرى"[2].

وهنا النص يشير إلى علاقة الموريسكيين الاسبانيين مع المغرب والأتراك وكذلك الفرنسيين.

السبب الثالث: يتمثل أن الموريسكيين الأندلسيين كانوا يزدادون بنسبة اكبر من نسبة ازدياد الإسبان , كان قرار النفي غرضه الأول والأوحد هو طمانة الدولة الاسبانية من وقوع ثورات جديدة في مملكة غرناطة بعد أن طردت عدد كبير من الغرناطيين سنة 1570 وشتتهم في أنحاء قشتالة[3].

وفي 1609م اتخذت حكومة فليب الثالث قرار طرد الأندلسيين ومن ابرز نصوص القرار الذي بدا بما اسماه خيانة الأندلسيين واتصالهم بأعداء اسبانيا وإخفاق كل الجهود التي بذلت لتنصيرهم وضمان ولائهم ,وأعطى القرار مهلة ثلاثة أيام للرحيل من المدن والقرى وجعل الموت عقوبة المخالفين , لهم أنيأخذوا من متاعهم ما يستطاع حمله على ظهورهم وأن السفن قد أعدت لنقلهم إلى بلاد المغرب ومن نصوص القرار بقاء 6% فقط من الأندلسيين للانتفاع بهم وهؤلاء الأسر

1 - الريكونكستا :هي حركة دينية ومعناها لإسترداد قام بها المسيحيون أسباب لاسترجاع إسبانيا من المسلمين والعودة إلى الحظيرة النصرانية بدءا:"بقرطبة 833ه/1236م ,بلنسية 634ه/1238م,مرسية 648ه/1243م ,جيان 652ه/1248م,اشبيلية 652ه/1248م وانتهاء بسقوط غرناطة 897ه/1422"،أنظر:عبد القادر الميلق،تأثير ثورات الموريسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية"897-1017ه/1492-1609م"، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،جامعة غرداية،2012-2013م/1433-1434ه،ص102.

2 - محمد رزوق، المرجع السابق، ص120.

3 - خليل إبراهيم الكبيسي، المرجع السابق،ص34.

الأشد ولاء للنصرانية، وسمح القرار لجميع الأطفال ممن لم يتجاوز أعمارهم الرابعة بالبقاء إذا كان أبوهم نصرانيا مع السماح لامهم إذا كانت من الأندلسيات الكاتمات البقاء معهم، وأخيرا نص القرار على السماح لعشرة من الأندلسيين بالعودة عقب كل نقلة لكي يشرحوا لإخوانهم كيف يتم النقل إلى المغرب على أحسن حال .

لم يبقى أمام الحكومة الاسبانية إلا أن تضع هذا القرار موضع التنفيذ وبعد مشاورات تقرر أن يبدأ العمل به في مملكة بلنسية[1] .

-طرد موريسكي مملكة بلنسية:

يعود سبب تنفيذ القرار بمملكة بلنسية لأنها تمثل أكبر تجمع للأندلسيين في اسبانيا ولان السلطة كانت تخشى تعبئة قواهم ضدها ,حيث كانوا يمثلون حوالي 40% وكانت السلطة تعتمد في مملكة بلنسية على شخصية حملت الدعوة لنفي الأندلسيين قبل فترة طويلة من صدور مرسوم النفي وهي شخصية خوان دير بيرة رئيس مدينة بلنسية[2].

وفي شهر أيلول سنة 1609م وصلت السفن الاسبانية وهي تحمل حوالي 80الف جندي إلى مبناه بلنسية لتنفيذ القرار ونودي على جميع الأندلسيين في المدينة البيضاء في بيوتهم لمدة ثلاثة أيام حتى تصدر إليهم الأوامر [3].

وعلى اثر ذلك اجتمع زعماء الأندلسيين وفقهائهم في بلنسية وقرر انه لا أمل في المقاومة ولا مناص من الخضوع واستقرار الرأي على أن يرحلوا جميعا وألا يبقى أحد , حتى ولا نسبة 6% التي سمح ببقائها ومن بقي منهم اعتبر مرتدا ,ومع ذلك فقد قاوم بعض الأندلسيين القرار وتشبث بالبقاء ولكن الجميع في نهاية المطاف رضوا بالأمر الواقع، وآمنوا بأن الهجرة هي أفضل من العيش في مكان الاضطهاد، ولكن عندما حاول بعض المسؤوليين إقناع أندلسي بلنسية بالبقاء استغل الأندلسيون هذا الأمر وعرضوا الموافقة على البقاء والاستمرار بالعمل في الحقول والمزارع إذ ضمنت

1 – أنطونيو دو مينقير هورتز: تاريخ مسلمي الأندلس،تر: عبد العال صالح طه،دار الشرق للطباعة والنشر،ط1،قطر،1988،ص230.

2 – أنطونيو دومينغيث أورتيث وبيرنارد فانسون :تاريخ الموريسكيين،المرجع السابق،ص231.

3 – مغيل أنخيل بونيس إيبارا: الموريسكيون في الفكر التاريخي، تر:وسام محمد جزر، المجلس الأعلى للثقافة،ط1،القاهرة،2005،ص197.

لهم الحكومة ممارسة عاداتهم العربية ودينهم الإسلامي دون أي مضايقات وعندما عرض الأمر على فليب الثالث رفضه[1].

-طرد موريسكي مملكة قشتالة :

لم يحدث في طرد موريسكي مملكة قشتالة ما جرى من أحداث درامية في بلنسية , فلقد كانوا أقلية مشتتة وفي اغلب الأحوال لا تتبع السادة إلا في بعض الأحوال التي لا تسبب أضرارا اقتصادية كذلك لم يكونوا يستطيعون جمع ثروات ,فقد كانوا يعرفون نهايتهم واستقبلوها بصبر.

-طرد موريسكي أندلوثيا ومرسية :

أما القرار الخاص بأندلوثيا ومرسية الذي تم توقيعه في 9ديسمبر1609م , لكن بدا تطبيقه إلا في 10يناير1610م وعندما نقارنه بطرد بلنسية فهناك أمران جديدان :

الأول :يخص أموال حيث يمكنهم أن يبيعوا كل شيء ما عدا الديون التي تبقى في صالح الخزانة الملكية أما إنتاج الماشية والفاكهة فلا يجوز إخراجه بصورة فضة أو ذهب، ويمكنهم حمل النقود اللازمة للرحيل أما قيمة الأشياء التي باعوها فينقلوها بصورة منتجات تجارية غير ممنوعة يمكن شراؤها من أبناء تلك الممالك وهذه المنتجات لكونها معدة للتصدير فيجب أن يدفعوا عليها جمارك وهذه الإجراءات كانت تعتبر مصادر جزئية وهي علامة على تعاطف الملك[2] .

كل هذه التعليمات كانت نتيجة استغاثة نصارى بلنسية الذي كانوا يقولون أن الموريسكيين اخذوا معهم ما يزيد على المليون بصورة ذهب وفضة وتركوا المملكة بدون نقود.

الثاني:كانت بشان الأطفال الذين لم يبلغوا الرشد حيث أمر الآباء بترك أبنائهم الذين نقل أعمارهم عن سبعة أعوام,إلا إذا كانوا سيذهبون لأرض نصرانية, وقد كان هذا هو السبب في قطع الكثيرين لطريق طويل إلى شمال إفريقيا عن طريق فرنسا, وبعضهم رحل عن طريق الموانئ الأندلسية متمنعا الذهاب إلى فرنسا أو إيطاليا ولكنهم فيما بعد اتفقوا مع الملاحين لحملهم إلى إفريقيا.

1 - أنطونيو دو مينقير هورتز وبرنارد بنشنت، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون"حياة...ومأساة أقلية"،المرجع السابق، ص232.

2 - أنطونيو دو مينقير هورتز وبرنارد بنشنت، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون،المرجع السابق، ص233،231.

وعلى الرغم من هذا فقد بقي 300 طفل في اشبيلية , فقد تكلفت الكنيسة بطعامهم و تعليمهم.

وفي بيان أيضا للماركيز دي سان خيرمان , المكلف بتنفيذ قرار الطرد في أندلوثيا, أعلن انه في حالة زواج نصراني مع موريسكية يمكن أن يبقوا جميعا , وفي حالة زواج موريسكي مع نصرانية يمكن للزوجة أن تبقى أو تذهب مع زوجها[1].

-طرد موريسكيين من مملكة غرناطة :

في مملكة غرناطة القديمة بقي عدد قليل نسبيا من الموريسكيين وسجل لابيري 1121 رحلة من ميناء مالقة في عام 1610م و125رحلة من مينائي مالقة والمونيكار، وفي عام 1611م يوجد آخرون سافروا برا عن طريق الشمال, أما الذين استطاعوا تجنب طرد عام 1569م فكانوا كثيرين ومن بينهم أصحاب رد اعتبار ولهذا فان باكادي كاستروا رئيس أساقفة غرناطة رفع رجاء للملك 24يناير 1610م ذكر فيه أنهم لا يمثلون أي خطر وأنهم قد أعطوا أدلة على إخلاصهم وان عدد غير قليل منهم يعتنق النصرانية فعلا , ويدعو الملك أن يستعمل الرحمة معهم.

وقد اصدر قرار طرد آخر في غرناطة وذلك في 30مارس1611م، وهو يتضمن العديد من المجموعات التي تمكنت من الهروب من القرار السابق وبالرغم من هذا فإن الكثير من الموريسكيين بقوا في مملكة غرناطة وذلك للاستفادة من المواد القانونية أو بالامتزاج بالنصارى الذين كانوا يعطفون عليهم ولا يشعرون نحوهم بأي عداء كما حدث في أقاليم أخرى[2] .

-طرد الموريسكيين من مملكة جيان :

في مملكة جيان كان كل الموريسكيين الذين أتوا على اثر طرد عام 1569م كثيرين ويبلغ عددهم 100 في أندوكان 1000 في أوسيدا ,2000 في بايثا و2255 في العاصمة إلى جانب أعداد أقل من هذه القرى والأغلبية ذهبت للرحيل عن طريق ميناء مالقة .

1 - أنطونيو دو مينقير هورتز وبرنارد بنشت، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون،المرجع السابق، ص233،231

2- نفسه: ص 233،231.

ولم يحدث في هذه المملكة الأحداث الدرامية التي حدثت في بلنسية، مع هذا فقد وجد من أصحاب السلطة من حاول إخراج ثروة بغير حق على حساب أولائك التعساء, ولقد أدان مجلس الخزانة تصرف "دون خوان دي سوليسرا" وكيل أويندا ,وبايثا وجعلهم يتركون له ألفي دوقية من أجل أن يصحبهم حتى مالقة , كما جعلهم يبيعون له الأراضي بأسعار منخفضة.[1]

-طرد الموريسكيين من مملكة قرطبة :

يوجد في مملكة قرطبة مركزان تجمع مهمان :

الأول :في بريقو وما حولها ويصل عددهم إلى 2264 شخصا.

الثاني : في العاصمة وهو مهم على الأول ويزيد على 4 آلاف ,ثلث هذا العدد كان من الموريسكيين تقريبا , وكان العدد الإجمالي لسكان العاصمة 40 ألفا وهذا يعني أن نسبة الموريسكيين تزيد على 10% ,في اشبيلية 6%, هذا إلى جانب زيادة نسبتهم من ناحية الأيدي العاملة , فقد كانوا يزودون المدينة بأيدي عاملة كثيرة ورخيصة , ولهذا فقد تضرر من طردهم الكثيرون,وضغطوا على البلدية لتعيق ذلك القرار ,ولكن التجمع الكنسي القرطبي كان قد نفذه,كما أن الطبقات الاجتماعية التي تمثله لن تتضرر كثيرا , لأنهم على أية حال سيحتفظون بعيدهم وهم كثيرون في منازل الأشراف[2].ورجال الكنيسة ولهذا الجلسة المنعقدة في 22 يناير 1610م رفضوا تقديم أي رجاء بشان الموريسكيين وكل هؤلاء الموريسكيين كانوا ذوي أصل غرناطي والعدد الإجمالي الذين رحلوا من ميناء اشبيلية هو 18471شخصا حيث دفعوا 1053000ريال اجر للسفن وقد اضطر الأثرياء دفع مصاريف نقل الفقراء لان الملك الذي سيستفيد من بساتينهم لم يدفع لهم حتى تكاليف السفر أما أصحاب السفن فقد استفادوا كثيرا حيث فرضوا 10ريالات مقابل كل فرد, وارتفعت الأجرة إلى 20,ولهذا إلى جانب 50 ريال مقابل كل طن من الحقائب في حين كان السعر المعتاد هو نصف تلك القيمة.

1 - أنطونيو دو مينقير هورتز تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون،المرجع السابق، ص 234.

2 - نفسه،ص234.

والى جانب الذين خرجوا من اشبيلية وجد آخرون رحلوا من سان لوكار ,وجبل طارق ولا توجد معلومات تاريخية عن هؤلاء, أما المؤرخون فهم يكررون ما قاله جواد الخارا وبليدا من انه قبل صدور القرار خرج حوالي 20الف موريسكي من أندلوثيا وبعد الصدور خرج 60 ألف آخرين وهذه الأرقام كلها محتملة[1] .

وقد حدث تشجيع للهجرة في نفس الوقت الذي خرج فيه الموريسكيون من ابسترا مادورا وقشتالة القديمة والجديدة والكثير منهم بدؤوا الهجرة بطريقة تلقائية منذ عام 1609م، وقد أحسنت الحكومة دعم تلك الحركة لتجنب العنف الذي قد حدث في بلنسية فقد صدرت لائحة تقول :"نظرا لان أبناء تلك السلالة الموريسكية الذين يعيشون في ولايات قشتالة القديمة والجديدة وابسترا مادورا ولامانشا كانوا في حالة قلل ولديهم الرغبة في الذهاب للحياة خارج تلك الولايات, حيث بدؤوا يبيعون عقاراتهم بأقل من قيمتها كثيرا, ونظرا لرغبتنا في أن لا يعيش احد منهم مجبرا".

فقد أعطوا مهلة 30يوم يبيعون فيها عقاراتهم ويخرجون قيمتها بصورة منتجات تجارية ,أما من المال فيحملون ماهو ضروري للسفر[2].

-طرد الموريسكيين من ابسترا مادورا :

كان عددهم قليل وعلى الرغم من أنهم كانوا مشتتين فان فرناندز نييبا ذكر إحصاء لهم قبل ترحيلهم, فسكان هورناتشو (باداخون) كانوا يمثلون مجموعة متماسكة , وأغلب الألفي مواطن الذين كانوا يعيشون في القرية هم أعضاء في جماعة سانت يعقوب[3], وقد وصلت الضرائب التي يدفعونهاإلى 6000دوقية في العام ,وقد كتب سلازار دي منيدوثا بعد طردهم بقليل يقول :"أنهم جميعا كانوا مختونين وحاولوا إقناع رجال محاكم التفتيش أنهم قد ولدوا هكذا وكانوا يتصرفون كما لو كانوا دولة حيث كان يجتمع مجلس دولتهم في كهف بجبل ,يصكون العملة وكان اغلبهم بالغين وكانوا على علم بكل ما يحدث في اسبانيا وربما خارجها وكانت لديهم اتصال مع المسلمين والأتراك , وعندما جاء الموريسكيون الغرناطيون إلى طليطلة عقدوا معهم حلفا" .

1- أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنشت ,تاريخ مسلمي الأندلس ,المرجع السابق ,ص235.

2 - نفسه ص238.

3 - جماعة سانت يعقوب :هي جماعة دينية نصرانية ذات طابع عسكري ,أنظر:نفسه ص238.

يقال أنه عندما انتشر الطاعون في اسبانيا عام 1600م أصاب الكثيرين من سكان هورناتشوس حيث أصاب الموريسكيين وبقي النصارى معافين فظن الرهبان أنها فرصة مناسبة لتنصيرهم وعرضوا عليهم أن يضعوهم في أماكن معدة لذلك المرض فأجابوهم :"أيها الأب ,لتبقوا أنتم في ديركم , نحن لا نرغب في أن تدخلون الدير لتقتلونا وعضا.يكفينا ما نحن فيه من غم,نحن لا نحتاج لقساوسة ولا لمصلحة ولا لعلاج "[1].

أما قرار طرد الموريسكيين الكاثلان فقد حدث في نفس وقت خروج الأرجوانيين وقد كانت نتائجه محدودة , لأن عددهم يتراوح بين 5-6الاف شخص , وقد عفي عن الكثير منهم نظرا لتسامح أسقف تورتوسا ,الذي اخرج لهم شهادات حسن السير والسلوك ,وفي مملكة مرسية أعلن القرار في 8أكتوبر وقد اقتصر على الموريسكيين الغرناطيين الذين دخلوا حديثا في النصرانية , أما البقية يدعون بسكان وادي ريكوتي حيث يعيش أغلبهم في تلك المنطقة , فقد أجل الطرد بسبب التقارير التي تتحدث عن نصرانيتهم.

الجزء الرئيسي لعملية الطرد إنتهى خلال عام 1610م في كل إسبانيا ولكنه تتابع لمدة ثلاث سنوات من أجل إتمام الطرد النهائي[2].

نستنتج مما سبق خلال الفصل:

- تحقيق إسبانيا وحدتها السياسية والقضاء على خلافاتها عن طريق الزواج السياسي.
- حدوث وحدة سياسية اسبانية ,وتفكك في المغرب الإسلامي .
- استطاعت إسبانيا توحيد نفسها ضد المسلمين في الغرب بعدما عجزت عن مواجهتهم في الشرق .
- ظهور محاكم التفتيش لتعقب وتتبع ومحاسبة وتعميد ما تبقى من المسلمين في الأندلس.

1 – أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنشت ,تاريخ مسلمي الأندلس ,المرجع السابق ,ص239.

2 – عبد الواحد ذا النون طه: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة, دار المدار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع,ط1، بيروت، ص81.

- بصدور قوانين الطرد النهائي والإجباري على الموريسكيين الأندلسيينبدأت هجراتهم نحو شمال إفريقيا.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:الهجرات الموريسكية للمغرب الأقصى بعد محاكم التفتيش1609م

1-فترة العهد الوطاسي

2-فترة العهد السعدي الأول

3-فترة العهد السعدي الثاني

حاول الموريسكيون أن يصارعوا مصيرهم باسبانيا، وظلوا لسنوات عديدة يعيشون تحت وطأة جهاز القمع الإسباني، لكنهم لم يستسلموا بل ظلوا إلى آخر لحظة من وجودهم بالأندلس معتزين بتراثهم الحضاري يقاومون في سبيل المحافظة عليه، وكانوا دائما على اتصال بالمغرب وثمار هذه الإتصالات كانت تجعل الموريسكيين يقتنعون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان وهذا الموقف جعلهم يواصلون جهادهم وهم على ثقة من أن كرامتهم ستعود لهم يوما ما.

وعلى الكل فتلك تجربة قاسية حملها معهم الأندلسيون إلى المغرب توالت هجرتهم عبر فترات متعددة مقسمة إلى ثلاث فترات متميزة :

أولا: فترة العهد الوطاسي: التي تمتد ما بين 876-961هـ/1471-1553م

والتي تميزت بأزمات اقتصادية وسياسية واجتماعية التي أثرت في وجود الجالية الأندلسية في المغرب، واختلفت آراء ومواقف كل فئة، فهناك فئة أولى تحفزت باستمرار للذهاب إلى الأندلس،وهناك فئة ثانية فضلت البقاء وأثرت بشكل كبير في الأحداث السياسية التي كان يعرفها المغرب، وذلك بالانضمام إلى الوطاسيين في حربهم ضد السعديين أما الفئة الثالثة فاتجهت إلى الجهاد أي العيش في استقلال تام وحرية عن السلطة المركزية[1].

وموضوع دراستنا فهو هجرة الأندلسيين خلال العهدين :"السعدي الأول، السعدي الثاني"

ثانيا: العهد السعدي الأول:

ظل الموريسكيون في الأندلس أقوياء منظمين داخل جماعات تحت زعامة فقهائهم الذين كانوا يأطرونهم، ودخلوا في إتصالات عديدة مع شمال إفريقيا وتركيا ودول أوروبية تعاطفت معهم، عازمين بالفعل على استرجاع مجدهم بالأندلس[2].

والذي شجع الموريسكيين على الهجرة صدور فتاوى من طرف فقهاء المغرب الإسلامي

1 - محمد رزوق:الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب،المرجع السابق،ص141.

2 - نفسه، ص151.

محمد الونشريسي التلمساني، والتي أكدت فتاواه على وجوب الهجرة" ...إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة " ,إضافة إلى القصيدة التي تنصح الأندلسيين:

ومن شاء من البحر مؤمنا بما شاء من مال إلى ارض عدوة

وهذه الفتوى كانت ردا على الأندلسيين الذين هاجروا إلى المغرب ولم ترق لهم ظروف العيش وندموا على الهجرة بسبب ضيق الحال عليهم والتسبب في ظروف معاش سيئة[3] .

ومنذ سقوط غرناطة في سنة 1492م أصبحت فكرة الهجرة هي السائدة إذ توافدوا على المغرب لقول أحمد المقري أن الغالبية الساحقة من الأندلسيين المنفيين أبعدوا إلى المغرب : "فخرجت ألوف بفاس...".

ونتيجة كل ذلك توافد على المغرب الأقصى أندلسيون من فئات مختلفة، وقدر العدد الإجمالي للموريسكيين في المغرب بـ40.000 ألف، وقد استقر معظمهم بالمناطق المجاورة لسبتة بتطوان وأماكن أخرى قريبة من مضيق جبل طارق[1].

لم يجدوا استقبالا حسنا, فقد كان أسلوب لباسهم اسبانيا وكانوا يتحدثون القشتالية وكانوا يخلطون أسمائهم وألقابهم المسيحية بالعربية، أما عقيدتهم الإسلامية فلم تكن تحظى بالثقة من قبل السكان المحليين[2].

1- الفئات المختلفة الوافدة نحو المغرب: توافد على المغرب عدة فئات مختلفة وهي:

أ- إنتقال الأمير الغرناطي إلى المغرب :

لم يرتح الملكان الكاثوليكيان لوجود الأمير الغرناطي باسبانيا مخافة أن يكون مصدر قلق وفتن بالنسبة لهم، وقد بعث الأمير الغرناطي برسالة إلى الأمير الوطاسي يستجيره فيها ويعتذر له فيها عما

1 - محمد رزوق , المرجع السابق، ص153.

2 - مولاي أحمد الكامون،هاشم السقلي: التأثير الموريسكي في المغرب، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1،المغرب،2010، ص88.

أصاب الإسلام في الأندلس على يده متبرئا مما نسب إليه من إثم وتفريط، فهي بهذه الصفة دفاع عن النفس أمام المغاربة الذين كانوا يرون فيه أنه يتحمل القسط الأكبر من مسؤولية السقوط.

وقد كتب هذه الرسالة وزيره وكاتبه محمد بن عبد الله العربي العقيلي، وسماها الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس.

وذكر لجوءه إلى السلطان"...ولم نفزع إلى غير بابكم المنيع الجناب، المنفتح حين سدت الأبواب، ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبس الملك من الأثواب، وإلى أمه يلجا الطفل لجأ اللهفان..." ويشير إلى أنه تلقى دعوات من المشرق للإقامة به، لكنه آثر المغرب :"ووصلت أيضا من الشرق إلينا, كتب كريمة المقاصد لدينا، تستدعي الإنحياز إلى تلك الجنبات وتتضمن مالا يزيد عليه من الرغبات, فلم نختر إلا دارنا التي كانت دار أبائنا من قبلنا ولم نرتض الإنطواء إلا لمن بحبله وصل حبلنا " وقد استقر الأمير الغرناطي بمدينة فاس وبنى بها قصور على الطراز الأندلسي وتوفي بفاس سنة 940هـ[1].

ب- إنتقال أفواج من عامة الناس:

ظلت الهجرة متواصلة إلى المغرب أثناء فترات الصراع بين الأندلسيين والملكين الكاثوليكيين حول مختلف ثغور الأندلس الباقية وقد سمح الإسبان بالهجرة إلى شمال إفريقيا، والتزموا بحرية العبور ومجانيته خلال سنة كاملة، وبعد معاهدة تسليم غرناطة شجع الملكان الكاثوليكيان الهجرة إلى المغرب وفي نفس الوقت سمح لهم بالعودة إلى التراب الأندلسي خلال ثلاث سنوات إذا رغبوا في ذلك[(2)].

ولكن بعضهم لم ترق لهم الأوضاع داخل المغرب بفعل الأزمات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية مما اضطروا الرجوع إلى إسبانيا[2].

هذا الجدول يلخص الوجهة للهجرة[1]

المدينة الأندلسية المهاجر منها	الوقت الذي استغرقته الهجرة	المكان المهاجر إليه
مالقة	ثلاث أيام	بادس
المرية	نصف يوم	اسفي
الجزيرة الخضراء	نصف يوم	طنجة
رندة, بسطة, حصن قرية, فردوش, حصن	نصف يوم	تطوان وأحوازها
ترقة	نصف يوم	المهدية
منسبن	نصف يوم	بلاد الريف
دانية , جزيرة صقلية	أربعة أيام	, القيروان
مرينية	يوم واحد	أصيلا وما قرب منها
طريفة	يوم واحد	,أزمور ,أنفا

حاول الملوك السعديين في فترة إقبال دولتهم أن يفتحوا الباب على مصراعيه، لمهاجرة الأندلسيين وقدموا لهم كل المساعدات سواء على صعيد العمليات الجهادية أو على الصعيد الإجتماعي

1 – محمد رزوق , المرجع السابق، ص154،155 .

والإقتصادي، بل تعدى الأمر إلى تقديم المساعدات للموريسكيين بإسبانيا نفسها ورغم كل المحاولات منع أي إتصال بين الموريسكيين داخل إسبانيا وخارجها .

2- الجاليات الأندلسية في العهد السعدي الأول:

الجالية الاندلسية في عهد محمد الشيخ: كانت أنباء الانتصارات التي حققها محمد الشيخ[1] على المسيحيين الصدى الواسع سواء لدى الجالية الأندلسية بالمغرب أو لدى الموريسكيين بإسبانيا.

لقد كان تأييد الجالية الأندلسية بالمغرب لمحمد الشيخ تأييدا مطلقا، خاصة أنهما يشتركان في نفس الهدف،كان موريسكو غرناطة يتقاطرون باستمرار على فاس للإنضمام إلى محمد الشيخ، وكانوا يحثونه على توجيه ضربة للإسبان في الصميم وذلك بالهجوم عليهم في أحد معاقلهم الرئيسية وهي سبتة، إذ يذكر إعلان جويلية 1549م في هذا الصدد " أن أنباء تروج في باديس مفادها أن محمد الشيخ سيحاصر سبتة برا وبحرا، وأن موريسكي غرناطة يتوافدون يوميا إلى فاس، وأنهم يحثونه على أخذ سبتة لأن هذا العمل يسبب مضايقة كبيرة للإسبان".

ومن المعلوم أن لهؤلاء الموريسكيين تجربة كبيرة في محاربة الإسبان، وبالتالي فإنهم سيقدموا خدمات كبيرة لمحمد الشيخ إذ ما أقدم على عمل مثل هذا[2] .

وقد تعدى صدى انتصارات محمد الشيخ الحدود ليصل إلى موريسكي إسبانيا، إذ كان لهم أمل قوي في أن يأتي الشريف السعدي لخلاصهم على أساس أن يقوموا بثورة في الداخل متى شعروا باقترابه من إسبانيا،كما تجلى ذلك في مذكرة المؤرخة سنة 1549م إذ يذكر أنه (نزل أحد الموريسكي و أراد أن يمد له يد المساعدة، وقد أجابه بأنه هو، ومواطنه لهم أمل كبير في أن يأتي إليهم محمد الشيخ لتخليصهم وأنه بمجرد الإقتراب من إسبانيا فإن 200 ألف موريسكي سيعلنون ثورتهم في ممالك مرسية وبلنسية وغرناطة وأنه لديهم معدات عسكرية مهمة مخبأة في الجبال[1].

---

1 – محمد الشيخ المهدي: ولد سنة 893هـ/1488م كان يعرف بالشيخ، وقد تعلم من شيوخه أبرزهم علي بن عثمان التأملي المؤرخ , وعلي بن مروان أستاذه في الأدب.كان يحفظ القرآن وديوان المتنبي له عدة أولاد أشهرهم عبد الله الغالب, عبد الله المعتصم, أحمد المنصور , عرفت المغرب في عهده إزدهارا إقتصاديا وثقافيا, أعتقل من طرف أحد العثمانيين في أواخر سنة 960هـ وتم حمل رأسه إلى البلاد العثماني أنظر : إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ من بداية المرنيين إلى نهاية السعديين ,ج 2،:دار الرشاد الحديثة،المغرب، 1978م,ص246.

2 – محمد رزوق، المرجع السابق, ص164.

والملاحظة الأساسية في كل هذه أن الموريسكيين كانوا في هذه الفترة يميلون بقوة إلى محمد الشيخ لمواجهة الأتراك إذ كانوا يكرهونهم و لأنهم كانوا يخشون من تحالفهم مع الإسبان، وهكذا نجد إعلان " أن موريسكي بلنسية وأرغون الموجودين بكثرة بالجزائر طلبوا من محمد الشيخ أن يرسل لهم إبنه، وأنهم سيؤيدونه فورا وذلك حقدا منهم للأتراك "كما استقبل محمد الشيخ وفدا يمثل أهالي تلمسان والجماعات الأندلسية المقيمة بها، وأكدوا له انضمامهم إليه و مساعدته على فتح تلمسان كرها منهم للأتراك ".

لكن بادي الأمر فضل محمد الشيخ أن يعرض مشروعه على الأتراك للتعاون فيما بينهما, فقي تقرير بعث به حاكم وهران cante d' alcondoute إلى حكومته 21 أفريل1549م, ذكر أن محمد الشيخ كتب إلى باشا الجزائر يعرض عليه القيام بعمليات مشتركة لفتح وهران والمرسى الكبير ...وأنهما يستطيعان أن يعلنا بعد ذلك الحرب على إسبانيا، وقد أخذ الإسبان والبرتغال يترقبون بالفعل تعاون السعديين والأتراك ضد المراكز المحتلة في شمال إفريقيا, خصوصا وقد تأكد لديهم إتفاق محمد الشيخ مع الأتراك على ذلك إذ نجد في الرسالة التي بعثها من جبل طارق بتاريخ: 6 فيفري1549م وبعد أن تعلن عن خبر إستيلاء الشريف السعدي على فاس تشير إلى أنه على إتفاق مع الأتراك, وأنه يسعى لبناء أسطول لتحرير جميع السواحل المغربية وللجهاد ضد المسيحيين بل للعمل لإستعادة إسبانيا نفسها .

لكن مشروع محمد الشيخ لم يكتب له النجاح نتيجة للأطماع التركية في المغرب[2]

2/– عبد الله الغالب:

ظل وجود الأندلسي قويا في المغرب بعد موت محمد الشيخ, فقد ذكر أحد البحارة الألمان المقيمين باسطنبول حوالي سنة 1560م:" إن الشائعات كانت تروج بمراكز الخلافة العثمانية حول وجود 80 ألف أندلسي إلتجئوا إلى فاس, وأنهم عازمون عن الإنتقام من محاكم التفتيش الإسبانية, لكن إن كان

1 – محمد رزوق : دراسات في تاريخ المغرب, إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع,ط1، الدار البيضاء، 1991م ,ص89.

2 – محمد رزوق : الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17, المرجع السابق, ص165.

الأمر عاديا في عهد محمد الشيخ ولم يثير أية مشاكل, إذ أن الجالية الأندلسية بالمغرب أيدت تأييدا مطلقا الشريف السعدي سواء في مواجهته للمسيحيين أو الأتراك فإن الأمر يختلف تمام بالنسبة لإبنه

عبد الله الغالب[1]الذي سيدخل في علاقات جديدة معها, خاصة عندما اتخذ إجراءات خطيرة في حقهم", ذلك أنه في عام سبعين وتسعمائة (1562-1563م) أمر الغالب بجمع أهل الأندلس الذين خرجوا في الجالية على يد شيطان كان من أهل قرية بجبل غرناطة إسمه سعيد بن فرج الدغالي ,وأخاه أحمد خرج بتطوان وكانا بحريين(بحارة) بها فنزلا على كبير دولة الغالب الحسن بن أبي بكر, فزين للغالب جمع أهل الأندلس على يد هذا الدغالي, فرسم له بذلك ودار عليهم في بلاد المغرب وجمعهم طوعا وكرها, وكتب منهم في الديوان أربعة عشر ألفا, ونقلهم إلى مراكش فاقطعهم الجانب الغربي منها وهو روض الزيتون السكني.....من المزارع والضياع واتخذوا فيه البساتين و وأعطوهم السلاح وسموا قائدا عليهم الدغالي.

لكن ماذا كان موقف الجالية الأندلسية تجاه هذه الإجراءات التي اتخذها عبد الله الغالب؟ وهذا النص يوضح ذلك " وكان أهل الأندلس أكرههم على الجندية وقهرهم عليها, وولى عليهم من لا يرضون ولايته, فكانوا يتمنون له النكب ليخرجوا من ربقة الرقية إلى الحرية "[2]

- جاء في النص أنهم جمعوا طوعا وكرها أي أن طائفة من هذه الجالية أتت كرها وفي الأمر خطورة.
- ضخامة الرقم (14ألف) فهو رقم كبير جدا, إذا ما قورن بعدد القوات التي كانت لجيش عبد الله الغالب (حوالي 30.000جندي) فهل أراد بذلك أن تكون هذه الجالية عامل توازن تجاه مختلف عناصر الجيش المغربي، ويمكن استخدامها في جميع الثورات الداخلية وتكون بالتالي أداة مطيعة في يده أي بعبارة أخرى"إنكشارية أندلسية " داخل الجيش المغربي .
- كما يشير النص إلى أنه أقطعهم مزارع وضياع في حي رياض الزيتون بمراكش, قد يكون هذا الإجراء ترضية لهذه الجالية مقابل الخدمة العسكرية, وتعويض لها مما ضاع منها في الأندلس وخاصة أن مهارتهم في الميدان الفلاحي معروفة إلى جانب مهارتهم العسكرية .

1 – عبد الله الغالب :بن محمد الشيخ ولد بتارودانت سنة 933هـ, بويع بعد ولده بفاس, قد حفظ القران في صباه كما تعلم علوم مختلفة كانت أيامه هدنة وعافية فتوفي عبد الله الغالب في العشر الأواخر من رمضان عام واحد وثمانين وتسعمائة أنظر: محمد حجي, موسوعة أعلام المغرب, ج3, دار المغرب الإسلامي, لبنان، 1996م ,ص135.

2 – محمد رزوق : هجرة الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17, المرجع السابق، ص166.

- يشير أن أعيان أهل الأندلس كانوا يحقدون على عبد الله الغالب ضد هذا الإجراء, إذ أدخلهم جميعا في الجندية, والأمر يتجلى بوضوح إذا علمنا أن كثيرا من أفراد هذه الجالية كانوا يمارسون التجارة والصناعة والفلاحة مما يدر عليهم الأرباح الوفيرة وأن إدخالهم إلى الجندية سيحرمهم من ذلك. هذه علاقة عبد الله الغالب بالجالية الأندلسية داخل المغرب وردود الفعل[1].

والسبب الذي جعل عبد الله الغالب لا يقدم المساعدة للموريسكيين في ثورتهم أنه كان بينه وبين النصارى مكاتبات في ذلك ومراسلات وأنه إستشار معهم وأشار عليهم أن يخرجوا أهل الأندلس إلى ناحية المغرب وقصده بذلك تعمير سواحله ويكون لهم بمدينتي فاس[2] ومراكش جيش عظيم ينتفع به في مصالح ملكه, وهكذا فقد فشلت الثورة وهاجر عدد منهم إلى المغرب .

الذي أوضح أن سبب عدم المساعدة هو قلة الأغربة[3] والمراكب، وعلة أخرى ألا وهي تتلخص في كون عبد الله الغالب التجأ إلى التقارب في سياسيته مع دول أوروبا الغربية والعمل على مهادنتها وذلك تحت ضغط التهديد العثماني للمغرب وكل ذلك لمواجهة الأطماع التركية, أي أنه يريد الحفاظ على الكيان المستقل للمغرب بأقل قدر ممكن من الخسارة, إما التنازل عن نقاط معينة للمسيحيين أو احتواء المغرب بأكمله من طرف الأتراك, ولا علاقة بين ما يورده المؤرخ المجهول عن شخصية عبد الله الغالب وبين ما ترده المصادر التاريخية المعاصرة له, إذ تؤكد هذه المصادر على أنه عرف بالولع والصلاح, وأن المغرب لم يكن في عهده أبدا غافلا عن القضية الأندلسية, والسبب الأول الذي أدى إلى عدم تقديم المساعدة إلى الموريسكيين (قلة الأغربة والمراكب) فمن ذلك اليوم أي منذ فشل ثورة الموريسكيين شرع في تجهيز الأغربة وإنشاء المراكب حتى حصل عنده ثلاثة غرابا, وهم يسيرون الصيف والشتاء في وجه البحر فيحتمون من الكفار ويأسرون منهم, وانشغل بتكثير الأغربة ويجتهدون فيها, وكان قلة الأغربة عندهم بسبب قلة الأخشاب والذي أذن لهم في نقلها من الروم إلى فاس[4].

1 – محمد رزوق : الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17, المرجع السابق, ص167.

2 – فاس: احتلت هذه المدينة أثناء الدور الأول(912-984هـ/1509-1578م) مكانة الصدارة في الميدان العلمي بالمغرب سواء في الحكم الوطاسي أو بعد أن دخلت في الحكم السعدي عام 1549م، أنظر: محمد حجي, الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعدين, ج2, منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر, المغرب, 1978م, ص345.

3 – غراب وجمعه أغربة،نوع من السفن الحربية تركب فيه المقاتلة والجدافون.أنظر: شبكة سهاب السلفية،أبو عمر الفلسطيني.

4 – محمد رزوق : الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17, المرجع السابق، ص 168.

3/- الجالية الاندلسية في عهد عبد الملك المعتصم:

ظلت الجالية الأندلسية تتحين الفرص لتتخلص من عبد الله الغالب وابنه محمد المتوكل وذلك بالاتصال بعبد الملك المعتصم[1]وهو بالجزائر وقدموا عدة خدمات له وفي هذا نركز على ثلاثة شخصيات هي :

أبو الفضل الغري :كان هو الواسطة بين المعتصم وشيعته بالمغرب ويفصل لنا القشتالي المراحل التي خطاها في سبيل تمهيد الطريق لمخدومه ,حيث تقرب من المعتصم من أجل البحث عن أخبار المغرب ونقلها، إلى أن استخصه المعتصم إلى المغرب عينا له وسفيرا عنه إلى أشياعه ومن كان يداخله في أمره , فوصل إلى مراكش بعهد الغالب بالله في صورة التاجر وحمل معه أحجارا من الياقوت فكان يطوف بها على المنازل الأكابر توصلا إلى مكالمة أشياخ المعتصم وإيصال كتب إليهم .

محمد زرقون :يفصل القشتالي أيضا هنا خدماته للمعتصم قائلا :"... وخلص محمد زرقون هذا فيمن خلص تلك الورطة (ثورة غرناطة) وعبر البحر إلى المغرب, فانتظم الجيوش النار لعهد الغالب بالله، ثم نزع إلى الجزائر عند الأتراك فأقام لديهم متجرا إلى فئتهم إلى أن أجلب بهم المعتصم على المغرب وكان قد داخله وصحبه أيام الاغتراب بالمشرق إلى أن صارت إليه الخلافة, ورفع منزلته ...)[2]**سعيد بن فرج الدغالي** : لعب دور بارز في الصراع بين المعتصم والمتوكل غير أن دوره برز أكثر في الإجراءات التي اتخذها عبد الله الغالب في حق الجالية الأندلسية بالمغرب، وبمجرد ما نزل عبد الملك المعتصم بها أعلنت الجالية الأندلسية مبايعتهم له وانضم سعيد بن فرج الدغالي بقواته البالغ تعدادها 1800 من الرماة الأندلسيين في معركة الركن بأحواز فاس, وجعل الكفة ترجع لصالح المعتصم ,فكان ذلك أول انتصار تقدمه الجالية الأندلسية له, وكلف المعتصم أخاه أحمد بمتابعته المتوكل في السوس وجعل أهل الأندلس تحت إمرته وأصبحوا يكونون ركنا أساسيا في جيش المعتصم[3]، كما اهتم بالميدان الذي يتقنه الأندلسيون كثيرا وهو ميدان البحار, وقد كان البرتغال والإسبان

---

1 – عبد الملك المعتصم : هو رابع أولاد السلطان السعدي محمد الشيخ يكنى أبو مروان واشتهر بالمعتصم بالله, تعلم اللغة التركية والإيطالية والإسبانية كان ذا شخصية قوية شارك في حملة الإسبان في تونس, ساعده العثمانيون في الجزائر على استرجاع مملكة المغرب, توفي في معركة واد المخازن ,أنظر: عبد الله كنون: عبد الله المعتصم بطل معركة وادي المخازن, مجلة المناهل, العدد13, الرباط,1978م, ص07.

2 – محمد رزوق، المرجع السابق،ص 174،175.

3 – مجهول :تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية، تح: عبد الرحيم بنجادة, مطبعة دار تينمل، ط1، مراكش، 1994، ص49.

يدركون بالفعل خطورة تعاون الأندلسيين مع عبد الملك المعتصم في الميدان البحري, لذلك الحوا دائما على ضرورة احتلال السواحل المغربية لإبعاد المغاربة عن البحر, غير أن ثقة المعتصم بهؤلاء لم تكن مطلقة خاصة أن لهم ماضي معين مع عبد الله الغالب وابنه المتوكل ويعرف تقلباتهم واتصالاتهم مع الأتراك , وقبل وقوع معركة واد المخازن بدأت تظهر بالفعل نواياهم, وجرت المعركة وشارك فيها الموريسيكيون , إذ أن الجيش البرتغالي كان يضم عدد كبير من الإسبان, فوجدها الأندلسيون فرصة للانتقام وهنا بدأت فكرة الطرد الجدي للموريسكيين من إسبانيا وهذا كله خوفا من التعاون بين الموريسيكيين داخل إسبانيا وخارجها وخوفا من تقديم الموريسيكيين المساعدات لكل من المغرب والأتراك لغزو إسبانيا[1].

4/- الجالية الأندلسية في عهد أحمد المنصور:

كانت سياسة المنصور[2] تجاه الجالية الأندلسية تتميز بصفة عامة بالاهتمام الحذر وبالرغم من ذلك لم يفتأ يدافع عن القضية الأندلسية في المحافل الدولية وفي البحث عن حلفاء له لتنفيذ مخططه في تقديم المساعدة للموريسكيين داخل إسبانيا نفسها, وتسهيل سبل الانتقال إلى المغرب أي أن المنصور كان يقدم كافة المساعدات لأفراد هذه الجالية ما دامت تعمل تحت سلطته.

لقد تأكد المنصور ومنذ أيام المعتصم من النوايا الخفية لقواد الأندلس واتضح ذلك مباشرة بعد معركة وادي المخازن[3], وإبان ثورة ابن أخيه دلود بن عبد المؤمن كانوا يرغبون في تولية عميل لهم بالمغرب مما جعلها تتحول إلى مؤامرة أندلسية بحماية تركية, لذلك بادر المنصور إلى حسبها منذ البداية.

1 - المجهول, المصدر السابق، ص50.

2 - أحمد المنصور: أحمد بن عبد الله الشيخ محمد المهدي ولد بفاس سنة 906هـ , تعلم النحو , والحديث وعلوم مختلفة بويع المنصور بوادي المخازن ثم بويع بفاس بعد مرور عشرة أيام على قدومه إليها . أنظر : سمية زيوان:العلاقات الخارجية للدولة السعدية القرن10هـ/16م،رسالة ماستر،جامعة عمار ثليجي،الأغواط،2014-2015، ص64.

3 - معركة وادي المخازن: في 986هـ /1578م عرفت بمعركة الملوك الثلاثة (أحمد المنصور , المتوكل , دوسفستيان) حقق فيها الجيش المغربي خلالها انتصارا, أعطى للمغرب أبعاد تاريخية عميقة ومن جهة ثانية أدى إلى انهيار القوة العسكرية والمعنوية للبرتغال والدول الحليفة لها، أنظر: شوقي أبو خليل: وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة القصر الكبير,دار الفكر،ط1, دمشق، 1988م,ص63،61.

سعيد بن فرج الدغالي وابن أخيه محمد: اكتشف المنصور وهو بعد بالسوس, لذلك كان حذر منه فبعد معركة وادي المخازن أتت جموع القبائل من السوس إلى مراكش ومنها إلى فاس لتهنئته إلا أن الدغالي تخلف بمراكش لأنه كان عازما على الثورة لكن تحت ضغط القبائل اضطر للإتيان معهم إلى فاس, وطلب منه الإذن في القدوم لسلا التي كانت تحت ولايته من عهد المعتصم , ورغم رفض المنصور منحه الإذن بالذهاب فقد مضى في تنفيذ مخططه, واتخذ المنصور قرارا حاسم حيث سرح إليه القائد أبا إسحاق إبراهيم بن محمد السفياني, وعبد الله التلمساني وكان هذا مقصودا لاستحداث العداوة بينهم وبين عساكر الأندلس.

محمد زرقون الكاهية : لم يكن أقل خطر من سابقه حيث سعى إلى الفساد وتفريق أمر الجماعة وفي النهاية كانت مؤامرات أندلسية بحماية تركية لكن المنصور حسم الأمر.

أبو الفضل الغري : كان مصيره مثل مصير سابقيه إذ كشف أمره وكل مؤامراته[1]

3- علاقة الأندلسيين بثورة الأمير داود بن عبد المؤمن:

كانت للأمير داود علاقة قوية بالقادة الأندلسيين والأتراك, لذلك بادر المنصور بمجرد القضاء على القادة الأندلسيين, إلى فرض نوع من الإقامة الجبرية عليه, لكنه تمكن من الفرار وإعلان الثورة ضد عمه بسوس, بجيش يضم العديد من الأندلسيين و الأتراك, وكان يسعى للوصول إلى درعة والصحراء المغربية الشرقية من أجل الاتصال بالأتراك في الجزائر[2], لكن المنصور كان حازما أيضا في مواجهته للثورة إذ أرسل أحد قواده المشهورين (محمد بن إبراهيم ابن بجة) للحسم في أمرها وتمكن منها.

هكذا ضاعت على المنصور أمام ضغط الأتراك, فرصة تقديم المساعدات للموريسكيين بإسبانيا, إذ أضطر للتقارب من الإسبان.

1 - عبد العزيز القشتالي :مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تح:عبد الكريم, مطبوعات الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، المغرب , د.ت، ص46،47.

2 - عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية, جمعية المؤرخين المغاربة،ط3، الرباط، 2006, ص111.

ومن الطبيعي أن يكون التقارب المغربي الاسباني آثار سلبية على الموريسكيين بإسبانيا الذي اكتشف مؤامرات موريسكية واسعة, وقد يكون سفراء المنصور أنفسهم هم الذين أفشوا سرها للإسبان.

كان المنصور يراقب أفراد هذه الجالية الأندلسية حيث من الممكن أن يقدموا مساعدات للأتراك قصد غزو المغرب لذلك فهو (يتفقد أمر عدوه قبل أن تشتد شوكته وتكثر شكته, ويعالجه قبل أن يصل داؤه ويعجز دواؤه).

4- قضية الأندلس في علاقات المنصور الدولية:

كانت قضية الأندلس تشكل ركنا أساسيا في سياسة المنصور الدولية فقد اتجه إلى كافة الدول التي تكن عداء للإسبان للتحالف والتنسيق معها قصد تحقيق أهدافه في تحرير الثغور المغربية وفي تقديم المساعدات للموريسكيين بإسبانيا في مرحلة أولى وغزو الإسبان في مرحلة ثانية.

هكذا اتجه لتعاون مع الإنجليز ضد فليب الثاني وكان محور هذا التعاون حل المشكلة الإسبانية البرتغالية, وذلك لتقديم المساعدة لدون أنطونيو قصد استرجاع عرشه[1].

وقد تعززت الرغبة في التعاون بعد فشل الإسبان في حملة الأرمادة[2]ضد الإنجليز إذ أرسلت الملكة إليزابيث بالبشرى إلى أحمد المنصور مخبرة إياه بأن الأمير دون كريستوف بن دون أنطونيو[3] سيبقى رهينة عنده بالمغرب مقابل المساعدة المالية التي سيقدمها لدون أنطونيو لاسترجاع عرشه, كما أن المنصور كتب إلى ولاته يطلعهم على الأمر ويؤكد لهم في نفس الوقت زوال الخطر الإسباني الذي كان يهدد المغرب, بل عزمه على تقديم المساعدة للموريسكيين في إسبانيا نفسها, وفعلا فقد سر الموريسكيون بهزيمة الإسبان, كما أشارت وشاركت الجالية الأندلسية بمراكش في مظاهرة عدائية ضد

1 – محمد رزوق :الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب, المرجع السابق, ص182.

2 – الأرمادة: كلمة إسبانية تعني الجيش البحري الكبير العدد والعدة، أنظر: وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر, تر: عبد القادر زبادية, دار القصبة للنشر, الجزائر, 2006م,ص35.

3 – دون أنطونيو : هو من أسرة "عما نويل"ملك البرتغال , وقد أسر في معركة القصر الكبير, وفك أسره بعد ذلك، أنظر: شوقي عطا الله الجمل :المغرب العربي الكبير في العصر الحديث, الأنجلو المصرية،ط1، القاهرة , 1977م, ص182.

الإسبان, إذ قصدت بيت السفير الإسباني بالمغرب وقامت بإضرام النار فيه, وكان المنصور حريصا على بناء أسطول قوي يمكنه تقديم مساعدات فعلية للجالية الأندلسية داخل المغرب وخارجه[1]

ثالثا:العهد السعدي الثاني:

عاش الأندلسيون بإسبانيا خلال بداية القرن السابع عشر آخر مراحل الصراع الذي خاضوه طيلة قرن كامل (1502-1609) ضد الجهاز القمعي الإسباني "محاكم التفتيش" , وانتهى ذلك الصراع بطردهم ونفيهم لتخلص من هذه الفئة الصامدة التي ساهمت في إقامة حضارة راقية يشهد لها العالم الإسلامي والأوروبي والتي سببت بالنسبة إليهم مشاكل عديدة على الصعيديين السياسي والديني.

لكن الأندلسيين لم يشعروا قط أن المسالة قد حسمت بصفة نهائية, إذ كانوا يشعرون أن نفيهم إلى شمال إفريقيا ماهو إلا مرحلة لتجميع قواهم من أجل الانتقام .

وهذا الفصل سيوضح هجرة الموريسيكيين إلى المغرب في العهد السعدي الثاني بعد القرار الجائر الذي اتخذه في حقهم الملك الإسباني فليب الثالث منذ 1609م، مدعوما بالكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها البابا،كما يوضح استقرار الجالية الأندلسية في نهر مصب أبي الرقراق وتطوان.

1- استقرار الجالية الأندلسية بمصب أبي الرقراق:

أغلب الموريسكيين الذين وصلوا إلى المغرب كانوا من الأندلسيين والقشتاليين والأسترانيين وقد وصلوا في وقت كانت المغرب تعاني فيه من مشكلة خطيرة, حيث مات أحمد الرابع وفاتح السودان وواجهت المشاكل العائلية أبناءه, وبعدها هزم, مولاي الشيخ على يد أخيه مولاي زيدان ثم لجأ المهزوم إلى لاراتشي وبعد ذلك إلى إسبانيا حصل فيها على الدعم لمحاربة أخيه لكن وافته المنية وأصبح مولاي زيدان عدو إسبانيا الملك الوحيد[2].

1 - محمد رزوق : دراسات في تاريخ المغرب ,المرجع السابق ,ص180-181.

2 - أنطونيو دومينقر هورتز والفرنسي برنارد بنثنت: تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون (حياة...ومأساة أقلية)، المرجع السابق، ص281.

وهكذا تحرر من المأزق واختلط الموريسكيون الذين لم يشاركوا في الحرب بين الساكنة الحضرية, لطنجة, تطوان, شفشاون وفاس, حيث وجدوا بها ذكريات مادية وبشرية كثيرة كانت تحدثهم عن موطنهم الإسباني وقد استقرت مجموعة كبيرة منهم عند مصب نهر أبي الرقراق حيث كانت ترتفع مدينتان قديمتان سلا في الضفة اليمنى للنهر, والرباط في الضفة اليسرى للنهر[1].

وخلال القرن السابع عشر استقرت جالية أندلسية مهمة بسلا, ودخلت على الفور في طاعة مولاي زيدان الذي كان يقدر إمكانياتها المادية والحربية, سواء للجهاد أو للمحاربة وجعلها تتميز وتتمتع بنفس إمتيازات أعيان المنطقة وترك لها عشر الغنائم. وقد استقرت بعد ذلك في القصبة تحت سلطة قائد سعدي, وتم إعادة بنائها وأصبحت مدينة صغيرة (بعد ما كانت شبه مخربة) من قبل الهورناتشيون الذين أصلحوا الأسوار ...ولإشباع رغبتهم في السيطرة ولتعزيز قوتهم في نفس الوقت, فإنهم استدعوا الأندلسيين المنبثقين في باقي أجزاء المغرب العربي, وذهبوا إلى حد تسديد مصاريف نقلهم وجعلهم يستقرون بالقرب من القصبة[2].إذا انبعثت مدينة الرباط الأندلسية داخل السور الموحدي.

وقد اصطدم بسلطة زيدان الذي أمر قائده في القصبة عبد العزيز الزعروري باغتيال العياشي[3]كما تفاوض مع شيوخ الأندلسيون لكنهم فضلوا البقاء بجانب المجاهد وحمايته, واصطدم الأندلسيون مع زيدان للمرة الثانية عندما بعث لقائده عبد العزيز الزعروري بأن يبعث المزيد من الأندلسيين من أجل إخماد فتنة وقعت بدرعة, لكن أندلسي القصبة رفضوا وعزموا على التخلص من الزعروري عند السلطان والقي القبض عليه سنة 1625م, ونهب الأندلسيون كل ممتلكاته وكتبوا لزيدان مظاهرين طاعته نفاقا منهم وبعث لهم مملوكه في 1627م لكن مصيره لم يكن أحسن من سابقيه, ولم يعتنوا به إلى أن قتل, كما طردوا جميع القادة السعديين, وجردوا المغاربة من سلاحهم وأرغموهم على الهجرة فكانت بذلك مؤامرات ضد السعديين[4] .

1 – أنطونيو دومينغيث أورتيث وبيرنارد فانسون :المرجع السابق، ص 401.

2 – محمد رزوق : الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب, المرجع السابق، ص 190.

3 – العياشي: هو شيخ مبجل من المرابطين , أنظر :أنطونيو دومينقير, المرجع السابق، ص 281.

4 – محمد الصغير الأفراني : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي, مطبعة علي بردين, باريس،1988م, ص 264.

لم يكن العياشي بعيدا عن هذه الأحداث, فقد كتب إليه الملك شارل الأول الإنجليزي رسالة في 12أكتوبر 1627م يهنئه فيها على المساعدة التي قدمها للأندلسيين في هذه الثورة وقد ذكر الأب دان أن زيدان حاول إرغام الأندلسيين على الدخول في طاعته, فأرسل إليهم قوات لمحاصرة المدينة, وانتهى هذا الحصار بعقد إتفاق بين الطرفين يصبح بمقتضاه الأندلسيون هم سادة المدينة والقصبة ويلتزمون بالمقابل بتقديم عدد من الأسرى في كل سنة للسلطان .

هكذا كونت ثلاث جمهوريات :الهورناتشيون بالقصبة وهي مقر الحكم, والأندلسيون بالرباط, وجمهورية ثالثة بسلا, وشرع الأندلسيون بتنظيم أنفسهم حيث أصبحت السلطة بيد حاكم ينتخب

لمدة سنة من قبل ديوان مكون من 16 عضو, وهذا الديوان لا يهتم إلا بالقضايا الحربية والدبلوماسية أما قضايا العدالة فيعين لها من يفصل فيها مع العلم أن الديوان لم يكن يمثل فيه إلا الأندلسيون.[1]

وعلى العموم فان تاريخ الأندلسيين السياسي بالمنطقة ظل متقلبا وهو يبرز في ثلاثة مظاهر أساسية :

2- الصراعات الداخلية :والتي تميزت بثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى: من 1627 إلى 1641م, تمتعت الرباط والقصبة باستقلال تام رغم محاولات السعديين إذ حاولوا مرتين فرض سلطتهم على المنطقة.

المرحلة الثانية : من 1641 إلى 1660م, هي المرحلة التي دخلوا فيها تحت الحكم الدلائي في نزاعهم ضد العياشي .

المرحلة الثالثة : المرحلة الأخيرة تنطلق من سنة 1660م، إذ حوصرت القصبة من طرف أندلسي الرباط بتحريض ومساعدة من الخضر غيلان, وانتهى هذا الحصار بدخول الرباط والقصبة تحت نفوذه سنة 1664م, وظل الأمر هكذا إلى غاية سنة 1666م عندما دخلت تحت نفوذ مولاي رشيد وزاد من حدة هذه الصراعات الداخلية الصراع الذي كان قائما بالفعل بين الأندلسيين أنفسهم, فقد دخل الهورناتشيون (سكان القصبة) والأندلسيون الآخرون (سكان الرباط) في صراع حاد بينهما[2].

1 - محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص 191.

2 - نفسه، ص 193.

3- مراحل الجهاد البحري:

نقصد به العمليات البحرية التي كان يقوم بها المجاهدون السلاويون (الأندلسيون والمغاربة) ضد السفن الأوروبية والإسبانية خاصة, فالأندلسيون كانوا يريدون الإنتقام من الإسبان أما المغاربة كانوا يقصدون الدفاع عن بلدهم .

تميز بثلاث مراحل أساسية:

- من 1610م إلى 1626م وهي مرحلة التنظيم, إذ عرف الجهاد البحري فيها ازديادا كبيرا.
- من 1627م إلى 1641م وهي مرحلة الإستقلال التام عن السلطة المركزية إذ شكل
- فيها الأندلسيون ديوانهم الذي أصبح يمارس اختصاصاته باستقلالية تامة, وقد امتد نفوذهم في هذه المرحلة إلى مسافات بعيدة أدت بهم إلى الإصطدام مباشرة مع الأوروبيين.
- من 1641م إلى 1668م التي أصبح الجهاد البحري فيها يمارس تحت إشراف الدلائين[1].

4- العلاقات مع أوروبا :

كان الجهاد البحري هو السبب الأساسي الذي أدى بالأندلسيين مع المغاربة إلى ربط علاقات سياسية وتجارية مع الأوروبيين, فقد كان المجاهدون في حاجة ماسة إلى العتاد والذخيرة والآلات الضرورية لتجهيز السفن ومن جهتهم فإن الأوروبيين كانوا يريدون أن يفتدوا أسراهم, ويؤمنوا سفنهم من أي نهب من طرف سفن المجاهدين, كما كانوا أيضا يعملون على تنمية تجارة مربحة بالنسبة لهم بالرغم من كل الظروف, وأخيرا ذهبت كل من إسبانيا وإنجلترا إلى أبعد من هذا عندما وضعت ضمن مشاريعها إمكانية إحتلال القصبة التي كان قوادها الذين يحملون أحيانا لقب قيم الميناء يفرضون أنفسهم كرؤساء دولة حرة ومستقلة عن السعديين[2].

5- الجالية الأندلسية بتطوان:

1 - محمد الصغير الافراني، المصدر السابق، ص 210.

2 - نفسه ،ص222.

يختلف الأندلسيون المهاجرون إلى تطوان عن إخوانهم في مصب أبي الرقراق[1] في عدة نقاط :

1. حين قدم الأندلسيون إلى تطوان وجدوا هناك جالية أندلسية مهمة كانت قد سبقتهم إلى المنطقة, فهيأت لهم بذلك ظروف الإستقبال الأحسن, في حين لم تكن مثل هذه الجالية المهمة موجودة بسلا, وبذلك لم يحسن استقبالهم واستأجر بعضهم دورا من المدينة, فلم يسمح لهم بالإستقرار بها بصورة دائمة, بسبب انعدام الشعور لدى الأندلسيين بالوقار.
2. كان أندلسيو تطوان يعملون تحت قيادة مغربية عكس أندلسي مصب أبي الرقراق الذين كانوا يقومون بتسيير أنفسهم بأنفسهم .
3. كان الجهاد البحري بتطوان مركزا أساسيا على البحر الأبيض المتوسط في نطاق ضيق في حين كان المجال واسعا بالنسبة لمصب أبي الرقراق على المحيط الأطلسي .

وعليه فإن:

- سلطة السعديين كانت في كثير من الأحيان اسمية لا غير.
- الإقتناع بضرورة تكتل مهاجري الأندلس بالمغرب بل بشمال إفريقيا .
- التحضير للرجوع إلى إسبانيا بمساعدة قوات أوروبية معادية لإسبانيا .

وعلى العموم فان المراحل التاريخية للوجود الأندلسي بتطوان تبرز كسابقتها بمصب أبي الرقراق في ثلاثة مظاهر أساسية :

1) الصراعات الداخلية
2) الجهاد البحري
3) العلاقة بالأوروبيين[2]

6- الصراعات الداخلية :

1 - مصب أبي الرقراق: هو نهر مغربي يبلغ طوله 240كلم ينبع من البحر المتوسط، من أهم روافده: وادكروا الذي ينبع من إقليم خنيفرة برافديه الفرعيين واد عكراش،وادكريفلة يصبان في المحيط الأطلسي،يبلغ معدل تدفقه 23م3/الثانية، بينما يغطي حوضه المائي10000كلم2

أنظر:موسوعة ويكيبديا- الموسوعة الحرة،https://ar.m.wikipedia.org يوم:2017/04/30، على الساعة:22:07.

2 - محمد الصغير الافراني، المصدر السابق، ص 250.

وصل الأندلسيون متأخرون إلى تطوان في عهد المقدم أحمد بن عيسى النقسيس 1608-1622م والتقت رغبة معهم في عدة نقاط منها :

- تحفز النقسيس للقضاء على سبتة وهي نفس رغبة المجاهدين الجدد للانتقام من الأسبان.
- القضاء على محمد الشيخ المأمون المتعاون مع الأسبان الذي حاول القضاء على الحماس الجهادي الذي كان لآل النقسيس ومن معه .
- القضاء على رغبة الإنتقام التي كانت للأندلسيين, إذ عمل على تصفية المجاهدين مغاربة والأندلسيين بتطوان وأمر الناس بالكف عن الجهاد وبث الشقاق بينهم لكن جهوده لم تؤت أكلها حيث تمكن المجاهدون التخلص منه .

وعلى كل, فإن فترة أحمد بن عيسى النقسيس كانت فترة جهاد مشترك ضد الإسبان لكن بعد موته اتضحت الأمور وظهر الصراع حيث عبر الأندلسيون عن طموحهم السياسي وعدم رغبتهم في الخضوع لأولاد النقسيس البرابرة الجبلين، وأصبحت حالة تطوان تزداد خطورة حيث جمع النقسيس البربري حوله الناس بالقوة وخلفه أولاده الستة ونجحوا في القبض على زمام الحكم بالمدينة .

خاصة أخوهم سيدي عيسى , لكن فيما بعد تقدم الأندلسيون بزعامة بوعلي وقاموا بانقلاب ضدهم التي كانت نتيجة ذبح عيسى وأخويه وفرار لابن الرابع عبد الله وتسلم جماعة الأندلسيين الحكم بقيادة بوعلي, لكن عبد الله النقسيس عاد بقواته إلى تطوان للقبض على بوعلي الذي كان قد هرب فقتلوا الآخرين, وتمكن هذا الأخير من حكم المدينة الذي كان محتميا من الأسبان وأصبح الأندلسيون يأملون إلى رجوع بو علي[1].

لم يكتفي عبد الله النقسيس بملاحقة أندلسي تطوان بل ربما لأنه كان على علم بمخطط الأندلسيين لتكوين محور تطوان, قدم مساعدات للعياشي أثناء حصاره للرباط 1630م، لكن المخطط فشل إذ أن رغبة الأندلسيين بالاستيلاء على تطوان كانت توازيها رغبة العياشي الذي بعث أنصاره إلى المدينة وفتح أبوابها ودخل أصحابه على رأسهم سليمان بن يوسف وزعيم الأندلسيين بو علي وهنا فر عبد الله لاجئا إلى الإسبان الذين استقبلوه, وظل نفوذ العياشي قائما بتطوان إلى أن وقع الخلاف بينه وبين الدلائين وقامت الحرب بينهم ولكن بعد مدة عاد الحكم إلى أولاد النقسيس الذي

1 – محمد داود: تاريخ تطوان،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1998, ص 252.

يقال للدلائين لهم اليد في ذلك واستمر الحال إلى أن دخلت تطوان في حكم غيلان الذي تحالف معها جماعة من الأندلسيين.

7- الجهاد البحري:

كانت لتطوان أهمية كمركز من مراكز الجهاد البحري في شمال إفريقيا، حيث سجل الأب دان أهميتها.

كما سجل دوكاستر نفس الملاحظة أن تطوان لم تصل إلى مستوى تسليح سلا إذ كانت هذه الأخيرة تأتي مباشرة بعد طرابلس وتونس والجزائر وكان مجال عملها مقتصر على البحر الأبيض المتوسط أي ضيق.[1]

8- العلاقات مع أوروبا :

لم تقتصر العلاقات بين أندلسي تطوان والأوربيين على التجارة والجهاد البحري بل تعدى الأمر إلى التحالف مع الانجليز ضد الأسبان من أجل أمل الذي لا يزال يراود الأندلسيين باستمرار ألا وهو العودة (إلى الفردوس المفقود)وكان المقابل الذي اقترحه هؤلاء هو مساعدتهم على الهجوم على المراكز الاسبانية بالمغرب قبل الانتقال إلى إحتلال مراكز معينة باسبانيا نفسها ومن ثم الإستحواذ على شبه الجزيرة الأيبيرية كلها .

كان الأندلسيون يشتكون في تطوان دائما من ممارسات القراصنة الإنجليز في البحار, رغم الاتفاقيات الثنائية التي كانت بين الطرفين مما كان يخلق مشاكل في طريق التعاون لمواجهة الأسبان[2]

1 - محمد مرزوق المرجع السابق ص255.

2 - محمد داود، المرجع السابق, ص 258.

وفي الأخير ومما سبق ذكره نستنتج أن:

تجربة الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب حاولوا من خلالها القيام بكيان خاص بهم يمكنهم من فرض وجودهم كقوة عسكرية سياسية لكن تجربتهم هذه باءت إلى الفشل لعدة أسباب منها :

- وجود شخصية العياشي كقوة جهادية لها قيمتها .
- حذر الدول الأوروبية من التعامل مع الأندلسيين حيث كانوا ينظرون إليهم كقراصنة وفي نفس الوقت الضغط القبائلي الذي كان ينعتهم بنصارى قشتالة .
- السبب الأخير وهو وليد جميع الأسباب السابقة ألا وهو التفكير الدائم في الرجوع إلى إسبانيا والانتقام منها حيث اعتبروا وجدوهم بالمغرب مرحلة مؤقتة, منتظرين الظروف الملائمة للرجوع إلى الفردوس الأم.

الفصل الثالث

الفصل الثالث:الهجرات الموريسكية للمغرب الأوسط بعد محاكم التفتيش 1609م

1-مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط

-المرحلة الأولى: قبل سقوط غرناطة1492م

-المرحلة الثانية:الهجرة الممتدة مابين 1492-1609م

-المرحلة الثالثة:الهجرة الأخيرة الممتدة مابين 1609-1614م

2-نتائج الهجرة الاندلسية إلى المغرب الأوسط

عرف المغرب الأوسط هجرات أندلسية مثله مثل المغرب الأقصى والمغرب الأدنى وطرابلس (ليبيا) فالظروف التي مرت بها الأندلس، والتي انتهت بسقوط آخر معقل إسلاميألا وهوغرناطة في1492م، وظهور محاكم التفتيش التي ارتكبت أبشع الجرائم في حق المسلمين وبعد قرار الطرد والنفي الجماعي في 1609م، لم يبقى للموريسكيين سوى الهجرة والتوجه إلى المغرب العربي عامة والجزائر خاصة التي شجعت بدورها حركة الهجرةوإنقاذ مسلمي الأندلس حيث إلتحق بها عدد كبير من الموريسكيين الأندلسيين خاصة من غرناطة والأندلس وبلنسية التي توالت هجرتهم عبر مراحل متعددة مقسمة إلى ثلاث مراحل مميزة مرتبطة بأحداث تاريخية لها دلالتها السياسية وحتى الحضارية.

1- مراحل الهجرة الأندلسيةإلى المغرب الأوسط:

المرحلة الأولى : كانت أول هجرة أندلسية قبل سقوط غرناطة سنة 1492م نحو الجزائر والتي ارتبطت بتراجع المد الإسلاميبالأندلس وسقوط الحواضر الإسلامية الكبرى بيد الإسبان مثل طليطلة 478هـ/1185م ,سرقسطة البيضاء512هـ/1118م,ومع انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب 609هـ/1212م بدأت الحواضر الأندلسية تتساقط تدريجيا كقرطبة وبلنسية ومرسية وجيان ....إلخ

المرحلة الثانية:الهجرة الممتدة ما بين (1492-1609م):

ارتبطت نهاية الحكم الإسلاميبالأندلس بسقوط آخر معتقل إسلامي" غرناطة "، وهنا تبدأ المرحلة الثانية من الهجرة الأندلسية حيث قصد المهاجرون الأندلسيون مختلف المناطق الساحلية للمغرب الأوسط واتخذوا من مدينة الجزائر ملجأ لهم [1].

حيث تقاطر عدد كبير من المورسكيين على الجزائر حتى بلغ عددهم 25.000 ألف موريسكي وكان الحكم العثماني نفوذا مناسبا لآمالهم وطموحاتهم,حيث سجل سقوط غرناطة بداية لعصر جديد يتميز بعدم التوازن ودخول العالمين الإسلامي والمسيحي في المواجهة[2].

وكرد فعل على هذا المد المسيحي على البلاد الإسلامية ظهرت فيالحوض الغربي للبحر المتوسط في بداية القرن 16م,قوة جديدة ألا وهي[1]الأتراك العثمانيين الذي كان لهم نشاط عسكري بحري لعب

[1] – محمد رزوق :الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م,المرجع السابق,ص 132.

[2] – حنيفي هلايلي :أبحاث ودراسات التاريخ الأندلسي الموريسكي, المرجع السابق,ص11.

دور كبير في التصدي للحملات المسيحية وهكذا ربط الموريسكيون الأندلسيون في هذه المرحلة مصيرهم بهم, وكان لهم دور فعال في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر[2].

كما ساهموا في مساعدة العثمانيين وذلك من خلال التصدي للحملات الإسبانية المتكررة ومنذ سقوط غرناطة عمل الإسبان على محاولة تصفية الوجود الإسلامي في المنطقة,وملاحقة المورسكيين خارج شبه الجزيرة الأيبيرية[3]في إطار حركة الإسترداد، حيث تركت الملكة إيزابيلا الإسبانيةالكاثوليكيةفي وصيتها بعد موتها (1504) : (إنني أرجوا من الأميرةإبنتي (جين) والأمير زوجها (فليب)وامرها باطاعة وصايا امنا المقدسة طاعة تامة وان يكونا حاميها والمدافعين عنها حسبما يقتضي واجبهما والا يكفا عن متابعة افريقيا ومحاربة الكفار في سبيل الايمان)

[1] – الأتراك العثمانيين: ظهروا منذ أن استعان بهم الخليفة العباسي المعتصم فقد سيطروا بالتدريج على الخلافة العباسية وعلى مناطق غرب آسيا ولعب الأتراك دورا رئيسيا في تاريخ فارس وسوريا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر تحت اسم تركمان،أنظر: أحمد عبد الرحيم مصطفي:أصول التاريخ العثماني،دار الشروق، ط1, القاهرة، 1968م, ص 11،12.

[2] – حنيفي هلايلي ,المرجع السابق ص11.

[3] – محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 137،138 .

واجبهما, وألا يكفا عن متابعة إفريقيا ومحاربة الكفار في سبيل الإيمان)[1].

وتعود أصول الجهاد البحري الجزائري إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي بسبب الأزمة السياسية والإقتصادية التي عصفت بالمغرب الأوسط والتي كانت من أهم عواملها هجرة مسلمي الأندلسإلى شمال إفريقيا واستقرارهم في المراكز الساحلية إلى جانب مساهمتهم في تموين سفن المجاهدين وتشجيعهم بدافع الحماية من جهة,وبدافع الإنتقام لطردهم من موطنهم من جهة أخرى.

وقد وضعت إسبانيا لنفسها موضع القدم في إفريقيا, كان عبارة عن نقطة ارتكاز للدفاع عن سواحلها الخاصة,كما شيدت سلسلة من القلاع على طول الساحل لشمال إفريقيا[2],واستولت على بعض المراكز الساحلية الجزائرية[3].

كانت شمال إفريقيا تتميز بجهاد بحري قوي لفت أنظارأوروبا المسيحية, وبالأخص مجاهدي الجزائر الذين وجهوا نشاطهم ضد السفن الأوروبية,وتكلفوا بعمليات إنقاذ مسلمي الأندلس من محنتهم .

وعاصرت مشروعات الدولة العثمانية في البحر المتوسط الغربي ,ظهور حركة عامة من رجال البحر تعمل على حماية الموانئ والسواحل من التحرشات الإسبانية وفي نفس الوقت تأمين وصول المجاهدينالأندلسيين على أكمل وجه[4].

ومن بين هؤلاء عروج[5]وأخوه خير الدين بربروس الذي بدأ نشاطهم البحري هم وحلفاؤهما

1 – فارس محمد خير :تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،المطبعة الجديدة، دمشق، 1982م ,ص 13.

2 – نفسه ,ص 16.

3 – المراكز الساحلية الجزائرية: يقصد بها المرسى الكبير, وهران, مستغانم, تلمسان, تنس ,بجاية,الجزائر,عنابة,أنظر:حنيفي هلايلي، (الأندلسيون في كتابات أحمد المقري التلمساني),مجلة التراث العربي، ص 162.

4 – عبد القادر الميلق:تأثير ثورات الموريسكيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية 1492–1609م،المرجع السابق,ص110.

5 – الإخوة بربا روس: نشؤوا في جزيرة مدلي من بحر الأرخبيل... لأب تركي يدعى يعقوب بن يوسف. شارك في عهد السلطان محمد الفاتح بفتح جزيرة مدلي تزوج من امرأة اختلف في أصلها والأرجح أنها أندلسية أنجبت له أربعة أبناء (إسحاق وعروج وخير الدين ومحمد إلياس) ,عمل الإخوة في التجارة البحرية ونقل الخزف والبضائع إلى الشام ومصر أنظر: مؤيد محمود حمد المشهداني: أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518–1830م، مجلة الدراسات التاريخية الحضارية، مج 5, ع 16, 2013م ,ص445.

أمثال صالح رايس[1],ودرغوثوقلج علي باشا [2] بعد تأسيس الحكم العثماني بالجزائر منذ سنة 1519م.

إن المغرب العربي والدولة العثمانية كانا يعتبران في نظر الموريسكيين "أرض الميعاد"والتي بإمكانها تقديم ما يحتاجونه من دعم,وعلى الخصوص السلاح للدفاع عن أنفسهم وفي هذه الفترة الزمنية بالذات,سجل تزايد اللاجئين نحو المغرب العربي إبتداء من سنة 1570م، حيث تمكن الموريسكيون من أن يجدوا لهم ملجأ بالجزائر,وقد أصبح وصولهم الجماعي مكثفا عندما بدأ النظام العثماني في الإستقرار,وتمكن خير الدين من جعل إيالة الجزائر قوة بحرية في المنطقة المتوسطية فهزت إسبانيا وأرعدتأوروبا.

كانت معركة خير الدين بالملف الموريسكي جيدة مما جعله يعتقد في وجوب إنشاء دولة قوية وموحدة بالمغرب الأوسط وانطلاقا منها يكون باستطاعته استرجاع الأندلس مرة أخرى[3].

إن الموريسكيين سواء الذين كانوا مستقرين بغرناطة أو بمناطق أندلسيةأخرى كانوا منذ عهد مبكر متشوقين للهجرة نحو شمال إفريقيا"[4]وازداد هذا الشوق بعد قيام الحكومة الإسبانية بمزيد من الضغط ومحاولتها إبادة من بقي من الموريسكيين, أما بالنسبة للمقيمين في المناطق الشرقية لإسبانيا فكانوا يفضلون الشريط الساحلي الجزائري وذلك لقرب الحدود[5].

1 – صالح رايس: ولد في الإسكندرية من أصل عربي كان من أهم رفاق بربروس أصبح منذ 935هـ/1529 م من طليعة رياس البحر,عين بايلربايا سنة 1552م – 1556م, بسط نفوذ العثمانيين إلى الجنوب وحرر بجاية ,أنظر: عبد القادر الميلق،المرجع السابق، ص111.

2 – قليج علي باشا: ولد في كلاباريا في قرية ليكاستيلي على الساحل جنوب إيطاليا من عائلة صيادين ولد في حدود 1500م كان اسمه وكنيته في المسيحية لوقا قالييني,أسره خير الدين سنة 1520م, عمل جداف مدة 14سنة عند بلوغ الرابعة والثلاثين من العمر اعتنق الإسلام خلف درغوث خلال حصار مالطا 1565م، تولى قيادة الأسطول العثماني من 1571م –1577م عين بيلرباي على إيالة الجزائر من سنة 1568م إلى غاية 1587م .لقب قليج بعد معركة ليبانتو سنة 1571م أي بمعنى السيف،أنظر: عزيز سامح ألتر:الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،تر:محمود علي عامر،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، ص223.

3 – حنيفي هلايلي:التاريخ الأندلسي الموريسكي، المرجع السابق، ص 20.

4 – إفريقيا :إفريقيا الشمالية المشتملة على المغرب الأقصى والجزائر وتونس وحدة جغرافية تحتضنها مجموعة جبال الأطلس, ووحدة جنسية لكونها آهلة بالبربر ولكن ليس لها تسمية مضبوطة،أنظر: أندري جوليان: إفريقيا الشمالية, تح: محمد مزالي والبشير بن سلامة, مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011،ص7.

5 – حنيفي هلايلي،التاريخ الأندلسي الموريسكي،المرجع السابق ص21.

ومن جهة أخرى كانت الإيالة[1] الجزائرية في نظر الموريسكيين أكثر الإيالات العثمانية المغربية المهيأة عسكريا لتقديم الدعم والمساندة.

حيث أن القواد العسكريين والسياسيين والدينيين الإسبان كانوا يعلمون جيدا مدى الوزن العسكري لإيالة الجزائر العثمانية في ملف الموريسكيين.أما بالنسبة للمهاجرين فقد كان لهم في شرشال حوالي 5000مسكن,والقليعة ذات الطابع الموريسكي الأصلي والتي استقر بها في عهد حسن باشا حوالي300عائلة وفدتإليها من إقليم قشتالة والأندلس وبلنسية، كما تذكر بعض الدراسات أن مجموعة هامة من الموريسكيين بعد خروجها من الأندلس لجأتإلى سواحل خليج أرزيو قرب منطقة المقطع.

كما تشير المصادر الإسبانية إلى الحملة البحرية التي قام بها كل من إيدين رايس وصالح رايس في سنة 1529م، بطلب من خير الدين بربروس أسفرت هذه الحملة عن نقل 600موريسكي بلنسي كان هؤلاء ينتظرون النجدة والخلاص من سفن الرياس العثمانية عند مصب نهر أوفيلا,وتمكنت تلك السفن من العودة بالموريسكيين إلى الجزائر وقد استقر هؤلاء بسهول متيجة ونواحي البليدة ,ودلس[2].

وهذا راجع لتشجيع إيالة الجزائر لحركة إنقاذ مسلمي الأندلس وهذا في نطاق الجهود التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون من أتراكوأهالي من أجلمساعدة إخوانهمالأندلسيين,وقد وجه خيرالدين حوالي 36 سفينة إلى السواحل الإسبانية,وذلك خلال سبع مرات لنقل ما يناهز حوالي 70 ألف موريسكي[3].

وهناك رواية تتعلق بالمساعدة في إطارإنقاذأندلسي جبال البشرات الذين ثاروا ضد الحكومة الإسبانية سنة 1502م، وقد ورد بهذا النص" أنه جهز لهم خير الدين ستة وثلاثين جفنا أي سفينة فنزل أهل

1 – الإيالة: مصطلح إداري من العصر العثماني قبل إلغاء الانكشارية يقصد به الولاية وهي وحدة إدارية يرأسها باشا أو الوالي والولاية بدورها كانت مقسمة إلى عدة صناجق, والصنجق الواحد إلى قائمة تأمين.أنظر:مصطفى عبد الكريم الخطيب :معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة ,بيروت، 1996 م,ص 57،58.

2 – حنيفي هلايلي: القضية الموريسكية في الفضاء الجزائري العثماني على ضوء الفرمانات العثمانية 1492م-1616م، المرجع السابق, ص 13،14.

3 – نفسه، ص 13.

الجبل من الأندلس أي الثائرون المحاصرون بالساحل,فرفعوا نساءهم وأبناءهموما قدورا عليه من أموالهموأثاثهم, فأتوا بها إلىالأجفان ووسقوها بذلك وركب عدد كبير منهم ورجعوا إلى

الجزائر وخلفوا ألفي مقاتل من العسكر يحرسون جماعة المسلمين الباقية بالأندلس خوفا عليهم من عائلة النصارى,فلما وصلت الأجفانإلى الجزائر,وخلفوا ما حملوه من الأندلس بها , رجعوا إلى ذلك الجبل لحمل بقية المسلمين فتكرر ذلك منهم سبع مرات,وكان من حملة ما حملوه من أهلالأندلس على ما قبل سبعين ألفا,وبقيت عدة أجفان بالجزائر وأنهم في كل سفرة يسافرونها برسم الغنيمة يأتونإلى سواحل الأندلس يرسم نقل جماعة المسلمين".

وبسبب هذه الأعمال الجليلة التي قام بها الأسطول البحري الجزائري دفعت بقايا المسلمين بغرناطة إلى الاستنجاد بالدولة العثمانية [1]

وذلك من خلال رسالة بعثها أهلالأندلسإلى السلطان العثماني سليمان القانوني 948هـ/1541م, أثنوا فيها على جهود خير الدين وأشادوابمآثره وبطولاته بقولهم:"فقد كان بجوارنا المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين وسيف الله على الكافرين,علم بأحوالنا فاستغثنا به أغاثنا وكان سببا في خلاص كثير من المسلمين من أيدي الكفرة المتمردين ونقلهم إلىأرض الإسلام وتحت إيالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك وشرشال[2]ونواحي تلمسان..."[3].

كما ذكر ابن خلدون قائلا: (...وما أهلالأندلس,فافترقوا في الأقطار,عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر,وتغلبت عليهم أمم نصرانية,فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية من مدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد,وشاركوا أهل العمران بها لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيالالدولة)[4].

1 - حنيفيا الهلايلي :التاريخ الأندلسي الموريسكي،المرجع السابق،ص 24 .

2 -.بين برشك وشرشال عشرون ميلا على البحر يتصل بينهما كبير منيع يسكنه قوم من البربر يسمون ربيعة ومن شرشال الى طرف البطال وهو خارج في البحر اربعين ميلا انظر: الشريف الادريسي :نزهة المشتاق في اختراق الافاق, عالم الكتب ,ط1 بيروت,2010 ص86.

3 - عبد الرحمن ابن خلدون :مقدمة ابن خلدون,دار يعرب مج,2004,ص401.

4 - حنيفي هلايلي:التاريخالأندلسي الموريسكي،المرجع ا لسابق،ص24.

وكان رد إسبانيا عنيفا عندما أسست ميليشيات مسلحة للرد على هجومات الأسطول الجزائري الذي كان يتجه نحو سواحلها لإنقاذ مسلمي الأندلس وكانت نتائج الحملات البحرية المتكررة للأسطول الجزائري على سواحل الأندلس أنه بادرت إسبانيا بشن حملة كبيرة على مدينة الجزائر في أكتوبر 1541م بقيادة ملكها[1]شارل الخامس[2].

وأثناء حصار مدينة الجزائر من طرف السفن الإسبانية ظهرت شخصية حسن باشا الذي أشرف بنفسه على عمليات تعزيز المواقع الدفاعية وتحصينها, ولم يتمكن قائد الأسطول الإسباني أندريا دوريا[3]من اقتحام المدينة وكانت الخسارة كبيرة للقوات الإسبانية,التي كانت نتائجها فقدان الأسطول الإسباني حوالي(150سفينة) ومقتل(10آلاف رجل), أما نتائجها بالنسبة للجزائر فقد تمكن سكانها من الحصول على كميات هامة من السلاح الذي تركه جند شارل الخامس

1 – مجهول:كتاب غزوات عروج وخير الدين, تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر,الجزائر، 1934 ص48.

2 – شارل الخامس :ولد بمدينة غاند يوم 24 ديسمبر 1500, جديه من أبيه مكسيمليان ملك النمسا وماري ملكة برغونيا, وجديه من أمه الكاثوليكين ,فرناند وإيزابيلا وأصبح ملكا على إسبانيا سنة 1516م إثر وفاة جده فرناند ,وبعد وفاة جده مكسمليان أنتخب إمبراطورا على الدولة الرومانية المقدسة, عرف باسم شارل الخامس, له مشاريع توسعية منها: غارته الفاشلة 1541م على الجزائر وغارته على تونس 1535م في آخر أيامه اعتزل السياسة, توفي في 1558م, أنظر:جان سيرينية وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر،ج2، بيروت، 1955م, ص322.

3 – أندري دوريا: ولد سنة 1498م هو من أولاد عائلة تعود أصلها إلى جنوة عمل في شبابه حارسا لدى البابا وبمساعدة (دوج داورينيو والقونس دي نابولي) تعلم فن الحروب والمغامرات البحرية , وعندما بلغ سن الأربعين التحق بالبحرية فأصبح قائد الأسطول الجنوي 1513م,إلتحق بالأسطول الفرنسي بفضل مهارته البحرية, سجل الأسطول البحري الفرنسي عدة انتصارات على الأسطول الإسباني, يعتبر أول بحار في العالم المسيحي.أنظر: عزيز سامح ألتر، المرجع السابق, ص 100.

وبذلك استحقت مدينة الجزائر لقب الجزائر المحروسة,وبعد مرور الزمن فرضت إيالة الجزائر سيطرتها على المنطقة حتى أصبحت في نهاية القرن السادس عشر سيدة البحر الأبيض المتوسط وأكثر قوة من بين المدن الجديدة الموجودة[1].

وقد استمر تدفق تيار الهجرة الأندلسية نحو إيالة الجزائر وخاصة بعد فشل الثورة الموريكسية كما بعث لهم حكام الجزائر قليج علي باشا كمية من الذخيرة البحرية.

عقب فشل حملة شارل الخامس خرجت أفواج متواصلة من موريسكي بلنسية نحو الجزائر وقامدرغوث رايس بنقل حوالي 1500موريسكي من منطقة بلنسية في عام 1569م، وكان من نتائج فشل ثورة البشرات بغرناطة 1570م، نزوح حوالي30.000موريسكي إلى الجزائر[2].

وكان لحكام الجزائر أيضا دور كبير تمثل في تسهيل إقامة الموريسكيين منهم الحاكم حسن فتريانو (1582-1588م) وهذا بدوره جلب ألفي موريسكي من منطقة أليكانت.

وكانت الجزائر والمدن المجاورة كالبليدة والقليعة وشرشال, قد امتلات بهؤلاء الوافدين الجدد, وعليه فإن سكان مدينة الجزائر أصبحوا بالفعل يتشكلون من أغلبية أندلسية مع العلم أنه قبل حدوث هذه الهجرات كانت الجزائر تعاني من نقص النمو الديموغرافي .

وفي سنة 1581م تم فيها عقد مشروع الهدنة الذي أقرته إسبانيا مع الدولة العثمانية وبالرغم من

[1] – حنيفي هلايلي:التاريخ الأندلسي الموريسكي ,المرجع السابق ص26.

[2] – محمد رزوق : الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17, المرجع السابق، ص 132.

ذلك,فقد ازدادت شقاوة هؤلاء الموريسكيين الذي انتزع منهم كل حقوقهم[1].

وفي هذا النطاق إستغاث هؤلاء من جديد بالجزائر والدولة العثمانية طالبين منهما مدهم بالأسلحة للدفاع عن أنفسهم ضد سياسة الإحتواء الديني والحضاري.

وبعدما أصبحت العملية صعبة عليهم, عبروا التراب الفرنسي واستخدموا ميناء مرسيليا كمحطة للإبحار إلى مدينة الجزائر وهذه كانت قبل عمليات النفي الجماعي.

وفي المرحلة الثانية استقر الأندلسيون في مدن جزائرية كثيرة مثل عنابة, بجاية, دلس, وتنس,حيث وجد هؤلاء المهاجرين في الجزائر أرضا تشبه أرضهم وأهلا كأهلهم[2].

المرحلة الثالثة: الهجرة الممتدة مابين (1609-1614م):

أعقبت المرحلة الأخيرة من الهجرة الأندلسية الممتدة من 1609-1614م قرار الطرد الجماعي للموريسكيين من إسبانيا في فترة حكم فليب الثالث, فإن الجهات الساحلية للجزائر قد استقطبت أعداد كبيرة من المهاجرين قسرا بواسطة السفن الإسبانية .

وبعد صدور مرسوم نفي مسلمي بلنسية بتاريخ 22 سبتمبر 1609م, تم ترحيل 28 ألف موريكسي نحو ميناء دانية 15 ألف آخرين إلى ميناء بلنسية وقد حملتهم السفن الإسبانية على نفقتها الخاصة إلى مدينة وهران غرب الجزائر، بينما اعتمد المهاجرون الآخرون على أنفسهم و استئجار السفن والإبحار صوب السواحل الجزائرية، وفي هذه الأثناء تمكنت أفواج أخرى خاصة موريسكيو استرامادورا وأرغون ولامانشا من الإلتحاق بمدينة الجزائر وفحصها عن طريق فرنسا عبر مرسيليا[3]

1 – جمال قنان:معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619– 1830م) , المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر،1987,ص266.

2 – أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي, دار الغرب الإسلامي،ط1، ج1،بيروت,1998, ص142.

توضيح :استقر الأندلسيون في المرحلة الثانية في ثلاث أقاليم رئيسية:

الغرب الجزائري:شمل وهران وضواحيها ومستغانم وارزيو وجهاتها وتلمسان.

الشرق الجزائري:شمل بجاية ,جيجل,عنابة وقسنطينة.

الوسط الجزائري: شمل الجزائر (دار السلطان) ,البليدة, القليعة , شرشال والمدية .انظر: حنيفي هلايلي المرجع السابق ص27

3 – حنيفي هلايلي :الأندلسيون في كتابات أحمد المقري التلمساني " أزهار الرياض نموذجا "مجلة التراث العربي،المرجع السابق ,ص184.

ونتيجة لسياسة هنري الرابع[1] ضد حكومة فليب الثالث, ومع مساعدة السلطان العثماني أحمد الأول ومساعديه لدى الحكومة الفرنسية وبفضله تم تسهيل عملية نقل الموريسكيين إلى دار الإسلام، لقول أحمد بن قاسم الحجري: (لما صح عند سلطان إسطنبول خروج أهل الأندلس الذين يسمونهم ببلاد الترك,كتب كتابه السيئ إلى سلطان فرنجة بالوصية عليهم ونفع ذلك الكتاب الأندلسيين نفعا عظيما)[2].

وقد وصلت أفواج هامة من الموريسكيين الذي خرجوا من موانئ ليفورنة ومرسيليا إلى شواطئ كل من إيالة تونس والجزائر، ولكن بسبب إغتيال الملك الفرنسي هنري الرابع عام 1610م، وموقف إسبانيا من الحكومة الفرنسية جعل العديد من الموريسكيين يتعرضون إلى المضايقات وسوء المعاملة من بعض حكام المقاطعات الجنوبية الفرنسية, وربابي السفن الذين تعهدوا بنقلهم[3].

ونظرا لكثافة الهجرة الموريسكية بعد قرار النفي الجماعي أدت إلى تعبير المقري: "خروج ألوف ... ،وألوف بتلمسان ووهران "[4].

وقد كان التركيز المتواصل على وهران والمرسى الكبير في هذه العملية أن ضاقت المدينة وما جاورها بالموريسكيين.

وتشير تقارير ربان السفن الذين شاركوا في هذه العملية الكبرى والموجودة بالأرشيف الإسباني, حيث تعرض علينا قوائم ومعلومات هامة حول الموريسكيين الذين تم نقلهم وجنسهم(رجال،نساء،أطفال) ومكان نزولهم بالسواحل الجزائرية [5]

في تاريخ 1609/10/17م قاد المركيز سانتاكروز 17 سفينة أبحرت من إسبانيا متجهة نحو وهران, وهي تحمل حوالي 34.6 موريسكي ولما ضاقت المدينة وما جاورها من الموريسكيين, طلب حاكم وهران الكونت دي إقيلا من القبطان المركيز قيادة ستة سفن لتحمل 6000 موريسكي والعمل

1 – هنري الرابع :ملك فرنسا حكم منذ 1589م إلى 1610 وكان أول ملك من آل بوربون العائلة الملكية المشهورة,كان من أفضل الملوك الذين تربعوا على عرش فرنسا وكان شخصيا من البروتستانت لكن فيما بعد اعتنق المذهب الكاثوليكي.أنظر: حسام الحفناوي :العلاقات الفرنسية الموريسكية، مقال 27/11/2013 ,ص16-18 .

2 – الشهاب الحجري أحمد بن القاسم: ناصر الدين على القوم الكافرين، تح:محمد رزوق ,الدار البيضاء ,1987,ص 49.

3 – حنيفي الهلايلي،المرجع السابق،ص 185.

4 – أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج4،المصدر السابق، ص528.

5 – حنيفي هلايلي،المرجع السابق،ص185.

على نقلهمإلى المرسى الكبير, وبتاريخ 22 أكتوبر 1609م طلب الكونت من ربان السفن الإسبانية لويس فراندو,خوان خير, قيادة سبعة سفن تحمل 3000 موريسكي.

كما تفاوض مسئولو الإسبان مع قبائل المنطقة قصد مساعدتهم من أجل تسهيل عملية نقل الموريسكين نحو تلمسان, مستغانم وكانت هذه القبائل العربية تشمل: (أولاد موسى, أولاد إبراهيم, أولاد سيدي عبد الله وبني عامر).

وفي نفس السنة كلف الكونت إفيلار القبطان ألفونسو هيرناندو, بنقل حوالي 599 موريسكيا إلى تلمسان[1].

ووصلت أعداد أخرى من الموريسكيين بواسطة سفن إسبانيا أبحرت من موانئ أليكانت متجهة نحو وهران والمرسى الكبير تحمل على متنها حوالي 1791 موريسكي[2].

وأثناء انتقال المهاجرين الأندلسيين الذين نزلوا في المناطق المجاورة لوهران وقرب مليلية كان لهؤلاء سوء الحظ حيث كانت هناك قبائل بربرية قامت بمهاجمتهم وعاملتهم بلا رحمة, حيث عندما نزلوا بشرق وهران خرج عليهم 300 فارس من الأعراب (البدو), ورغم أنهم لم يكونوا مسلحين فقد تمكنوا من الدفاع عن أنفسهم بالحجارة [3] وصدوا هذا العدوان، وقام الكثير منهم بحفر حفر لدفن أموالهم بها تحسبا لما سيحدث لاحقا بالفعل, فقد هجم عليهم ستة آلاف أعرابي هجمة رجل واحد وجردوهم من كل شيء حتى ملابسهم التي باعوها بأثمان بخص في وهران[4].

وهكذا تعرض الأندلسيون إلى مأساة لقول المقري التلمساني: (فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا البلاد تلمسان وفاس حيث نجي القليل من هذه العرة)[5]. واستنكر وغضب علماء وشيوخ القبائل لما حدث ودعوا إلى معاقبة هؤلاء الأعراب ونصرة الموريسكيين في مقدمتهم الشيخ محمد أقدار التوبيني الذي استنهض الشيخ أحميدة العبد وحثه على

[1] – حنيفي هلايلي:أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي، المرجع السابق ص38.

[2] – نفسه، ص ص39،40 .

[3] – أنطونيو دومينقير هورتز وآخرون:تاريخ مسلمي الأندلس (حياة... ومأساة أقلية)،المرجع السابق، ص277.

[4] – أنطونيو دو مينغيث اورتيث واخرون:تاريخ الموريسكين حياة ومأساة أقلية,المرجع السابق ,ص409.

[5] – أحمد المقري التلمساني:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب,المصدر السابق، ص528.

إن يغزو بعشائر سويد قبيلة هبرة لإعتدائها على الموريسكيين بنواحي أرزيو الموجودة نواحي (المحمدية وسيق) قرب معسكر.[1]

وقد كتب المؤرخ الإنجليزي شارل لي حول هذا الموضوع: (لم يكن مسلموا تطوان متسامحين, وقد أضيفت إلى الموريسكيين مأساة جديدة وهذا إلى درجة أن جميعهم لم يكونوا فرحين لعملهم أنه هناك موريسكيين مسيحيين ثابتون في دينهم قد رجموا أو قتلوا, وهذه نتيجة لرفضهم دخول المساجد, وفي البلاد المغاربية وكقاعدة عامة,كانت آلام المهاجرين شنيعة جدا, وعندما نزلوا بوهران سعوا لتبني خطة إنشاء دولة موريسكية, ولا شك أن الموريسكيين لم يكونوا يدركوا الوضعية العامة إلى أن عايشوا بأنفسهم كره العرب البدو لهم, وأنهم لا يرغبون في الرجوع إلى إسبانيا ليموتوا مسيحيين).[2]

مدينة وهران وتلمسان إذا كان بدو هذه المناطق قد نهبوا أو سرقوا أملاك وثروات الموريسكيين الذي حلوا بالساحل المغاربي دون أن يقع عليهم القصاص هذه غير معقولة, لأن الأهالي لم يكونوا على علم بمأساة الموريسكيين السياسية والدينية وطردهم وتم نهبهم بسبب مظاهر الثراء البادية عليهم ,كما صاحبوا ظاهرة إنتشار الأمراض والأوبئة وتلقوا أبشع أنواع التعسف والظلم على أيدي ربابنة السفن الإسبانية, وإنتهى بهم الأمر إلى الغرق في البحر كما حدث لمهاجري سفينتين كانتا متجهتين من قرطاجة إلى وهران, فغرقت وسط البحر.

ولعل هذه الظروف التي دفعت البعض منهم العودة إلى إسبانيا وإعلان تبعيتهم لملك إسبانيا

والتظاهر باعتناقهم المسيحية, مثال على ذلك الجماعة التي عاد بها القبطان"باري" من وهران إلى إسبانيا على ظهر سفينته[3].

2- نتائج الهجرة الأندلسية إلى الجزائر:

- مثلت الهجرات الأندلسية وخاصة الأخيرة أهم حدث شهده مطلع القرن 17م.

1 - محمد رزوق :الأندلسيون وهجراتهم,المرجع السابق ,ص132.

2 - هنري تشارلس لي: العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة,تر: حسن سعيد الكرمي, دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1989م, ص212.

3 - حنيفي هلايلي :أبحاث ودراسات، المرجع السابق ,ص 43.

- تعددت انجازات وإسهامات الأندلسيون في المغرب العربي والجزائر خاصة, حيث المساهمة الأندلسية في مختلف المجالات والأنشطة جعلت منهم نخبة مميزة في نظر السلطان, حيث استفادت الأتراكالعثمانيين من خبراتهم ومهاراتهم, وقد أثرت هذه المساهمة في فعاليات التاريخ الجزائري في العهد العثماني وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى حيوية الأندلسيين، كما شكل الأندلسيون القاطنين بإيالة الجزائر ,خطرا كبيرا على أمن الشواطئ الإسبانية وخاصة الحوض الغربي للبحر المتوسط[1].
- ظل أفراد الجالية الأندلسية خلال هذه الفترة يعتبرون أنفسهم في دار الهجرة .

- شكل أفراد الجالية الأندلسية فئة اجتماعية مميزة حيث كانوا لا يميلون إلى الإختلاط وذلك لإعتزازهم بالأصل الأندلسي.

- على المستوى العسكري وضعوا نشاطهم العسكري إذ ظهرت أسرة موريسكية أندلسية, واختصت في مجال القرصنة, أبرزها :أسرة أولاد النقسيس التي عملت في إطار القرصنة وهاجمت البرتغاليين [2] وكانوا أشد الأعداء للمسيحين (الإسبان).

- تميزوا بأسلوب حربي جيد حيث كانوا يغيرون على السواحل الإسبانية ليلا وهذه حيلتهم.

- ساهم موريسكو شرشال في تشكيل جماعات خاصة تقوم بهجمات سريعة وخاطفة على السواحل الإسبانية حيث بمجرد ما تصل سفنها الصغيرة إلى الرمال, ينطلقون نحو الداخل لتخليص الأهالي وأسرى المسيحين الذين يباعون في سوق الجزائر [3]

- كانت الجالية الأندلسية بمثابة المؤشر المالي في الجزائر العثمانية[4].

- ساهموا في المجال السياسي بتثبيت الحكم العثماني بالجزائر, إذ مدوا يد العون للأخوين عروج وخير الدين بربروس في صراعهما مع الإسبان ووقفوا بجانبهم في محاربة بقايا الإدارة الحفصية ونصرهما

1 - حنيفي هلايلي :القضية الموريسكية في الفضاء الجزائري العثماني. المرجع السابق، ص14 ,16 .

2 - حنيفي هلايلي: الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16م و 17م, رسالة ماجستير، ص85 .

3 - نفسه، ص86.

4 - Denis Brahimi, "Qulques jugements sur les maures Andalous dans les régences turques",in,R.H.C.M (N°9),JUIllet,1970,pp.39-40.

ضد الزعماء المحلين, أما بالنسبة لإسبانيا كان يشكل لها خطر حيث أصبحت عاجزة على تأمين طرقها وصعب التنقل من إسبانيا إلى إيطاليا, وهذا أدى إلى تراجع الاقتصاد الإسباني[1].

- كانت طبيعة التقارب والتباعد في العلاقات الجزائرية الإسبانية, التي شكل الموريسكيون الأندلسيون جزء كبير منها, فطبيعة التباعد كان من خلال دورهم في إشعال الحرب بين الجزائر وإسبانيا عنروح الإنتقام أولا, ثم التذكية والتحريض تم مشاركتهم في هذا الصراع, أما عن طبيعة التقارب, نتجت عن طريق إدخالهم عادات وتقاليد, أسهمت في إحلال لغة استعملت كثيرا في الجزائر هي لغة الفرنكا[2]

- ساهم موريسكو غرناطة ومرسية في بناء وتعمير المرسى الكبير وجعلوا منه قاعدة بحرية.
- عرفت كل من المناطق (البليدة, المدية) خلال هذه الفترة بحدائقها الخضراء ومنازلها البيضاء.
- مساهمة الأندلسيون في توسيع عمران مدينتي هنين,مستغانم.
- اشتهروا بتحصيل الضرائب وجمع موارد الخزينة العامة, وبفضل أعمال القرصنة ومبادلة الأسرة والمشاركة الفعالة في تمويل مشاريع القرصنة [3]

- ساهم الموريسكيون في تلقين إيالة الجزائر فنون أوروبا وخاصة في المجال العسكري وبذلك أصبحت الجزائر منطقة أسطورية في الدفاع كما برعوا في صنع الأسلحة وتحضير البارود وصناعة السفن[4].

1 - عبد القادر الميلق ,المرجع السابق، ص127 .

2 - نفسه ص 163.

3 - حنيفي هلايلي :أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي،المرجع السابق، ص 52 ,55.

4 - مفيدة بن يوسف: الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيرها الحضاري على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني،رسالة ماجستير, ص 169.

من خلال ما سبق ذكره نستنتج:

- للجزائر دور كبير في إنقاذ مسلمي الأندلس ومساعدتهم خلال العهد العثماني, وخاصة بعدما أصدرت إسبانيا قرارات الطرد الجماعي لهم وتتبعهم حتى وراء البحر .
- كما استطاعت هذه الفئة بدورها الذوبان في المجتمع الجزائري والتفاعل معه وتكاثفت الجهود فيما بينهم في صد الهجمات المسيحية الإسبانية وهذا ولد أثرا سياسيا.
- اعتبر الإسبان هذا التصدي تدخل في الشؤون الداخلية وتجل رد فعل الإسبان تجاه ذلك في الحملات العسكرية التي أسفرت عن استيلاء العديد من المراكز الساحلية الجزائرية .

وبالرغم من ذلك فقد استفادت الجزائر من خبراتهم الحربية والفنية وحتى المعمارية عززت فعاليات التاريخ الجزائري نشهد آثارها إلى يومنا هذا .

الفصل الرابع

الفصل الرابع:الهجرات الموريسكيين للمغرب الأدنى بعد محاكم التفتيش 1609م

1-مراحل الهجرات الموريسكية في المغرب الادنى

-المرحلة الأولى: قبل سقوط غرناطة897هـ/1492م

-المرحلة الثانية:بعد سقوط غرناطة897هـ/1492م

2-تصنيف المهاجرين الموريسكيين في المغرب الأدنى

3-طريق الهجرة

4-أسباب اختلاف المهاجرين إلى المغرب الأدنى عن غيرهم نحو البلاد المغاربية

5-نشاط الموريسكيين الأندلسيين بالمغرب الأدنى

6-القرى الأندلسية بالمغرب الأدنى

إن لفظ المغرب له أبعاد جغرافية مختلفة فكان يدل على الجهة التي تغرب فيها الشمس[1]ثم أصبح يدل على المنطقة الواقعة غرب دمشق جهة مغرب الشمس,ثم صار هذا اللفظ يشمل البلاد الإسلامية الواقعة من حدود برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا, ولم تكن بلاد المغرب الحالية معروفة بهذا الاسم عند قدوم الفاتحين المسلمين إليها بل أطلقوا عليها اسم إفريقية وبامتداد حركة الفتح الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي ومنها إلى بلاد الأندلس بدأ لفظ إفريقية يتقلص شيئا فشيئا بينما أخذ لفظ المغرب في الظهور والشمول[2] .

شهد المغرب الأدنى توافد العديد من الأندلسيين وذلك إبان الحكم الحفصي[3] ومنذ مطلع القرن السابع عشر هجري إثر انهيار المدن الشرقية للأندلس وعلى الخصوص بلنسية 636هـ/1238م واشبيلية سنة 646هـ/1248م .

من خلال تتبع مسار الهجرة الأندلسية تجاه الدولة الحفصية "المغرب الأدنى وتونس حاليا" يمكن تقسيمها إلى مرحلتين أساسيتين تميزت كل مرحلة بأحداثها ,ورغم أن موضوع بحثنا يخص المرحلة الثانية إلا أن التاريخ عبارة عن سلسلة من الحلقات المترابطة لا يمكن ذكر مرحلة دون التطرق لما قبلها حتى تتضح مجريات أحداث التاريخ.

1- مراحل الهجرات الموريسكية الأندلسية للمغرب الأدنى:

أولا:المرحلة الأولى: قبل سقوط غرناطة 897هـ/1492م

تمتد هاته الفترة من قيام الدولة الحفصية 624هـ إلى غاية سقوط غرناطة1492م,وقد عرفت هذه المرحلة هجرة العديد من الأندلسيين.

1 - نصر الله سعيدوني: تاريخ العرب السياسي في المغرب, دار النهضة العربية،ط1 ,بيروت ,1988, ص19 .

2 - مريم بوعامر: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري مابين القرن 7و9هـ /13و 15م, رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ,2009-2010 ,ص4.

3 - الحفصيين :ورثوا الموحدين في المغرب الأدنى,حينما أعلن أبو زكريا يحي الهنتاتي انه أميرا للمؤمنين سنة 624هـ ,وقد كان ملكا جزلا ,سعيدا,فاضلا ,عاقلا ,عالما ,وكانت أيامه خير الأيام وأكثرها سعادة وأدرها أرزاقا ,وجمعت دولته العلماء وأهل الرئاسات وفحول الشعراء أنظر:أبو العباس احمد بن حسين بن علي بن الخطيب ابن القنفذ القسنطيني ,الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية , تح: محمد الشاذلي النيفي عبد المجيد التركي ,الدار التونسية للنشر ,تونس,1968,ص 112-113.

هناك مجموعة من العوامل التي دفعت بالأندلسيين إلى الاستقرار بالمغرب الأدنى أهمها :

– العلاقات الودية التي جمعت بين الأسرة الحفصية وأهل الأندلس ,لأن الحفصيين كانوا يميلون إلى أهل الأندلس ويقدرون مواهبهم لخدمة دولتهم ,لذا أحسنوا استقبالهم ومنحوهم مناصب مهمة في الدولة[1].

– الاستقرار النسبي الذي كانت تتمتع به تونس دون غيرها مما جعلها وجهة المهاجرين لما ضاق بهم الأمر بالمغرب بسبب الفتن, ويشير ابن خلدون بقوله:"ولما تكالب الطاغية على العدوة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها وأشق على قواعدها وأمصارها أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى ارض المغربين وافريقية ,وكان قصدهم إلى تونس لاستفحال الدولة الحفصية بها"[2].

وخير مثال ما حصل لأسرة أبي الغنم وهم من جالية شاطبة فقد حاولوا الاستقرار أولا بطنجة لكنهم غادروها سنة 661هـ/1263م ولجئوا إلى تونس بعدما قتل بنو مرين.

إضافة إلى هاذين العاملين,عامل آخر وهو الإنهيار الديموغرافي الذي عانت منه إفريقية منذ منتصف القرن الرابع عشر ميلادي.

هذا عن العوامل التي ساعدت في استقرار الأندلسيين المهاجرين بتونس أما عن مراحل الهجرة فقد كانت أولى هجراتهم إلى عدوة المغرب ,ووقعت أولى هذه الهجرات الجماعية في القرن 7هـ/13م عندما سقطت اشبيلية [3] .

وفيما يخص الهجرة الكبرى نحو إفريقية الحفصية، تمت بعد سقوط مدن الأندلس الكبرى خاصة بلنسية 636هـ/1238م، واتخاذ قرارات الطرد, فهاجرت جاليات مهمة من شرق الأندلس إلى المغرب وإفريقية بالخصوص "تونس حاليا",حيث كانوا جاليات متميزة عن غيرها ومعظم هذه الجاليات كانت من الأسر الأندلسية العريقة ومن بين هذه الأسر: "أسرة ابن الآبار الذي غادر الأندلس سنة 637هـ/1240م وفضل الإقامة في ظل الحفصيين ,اتجه في بادئ الأمر إلى بجاية ولم

1 – محمد رزوق: دراسات في تاريخ المغرب ,مطبعة إفريقيا الشرق ,ط1 ,1991,ص28.

2 – ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ,تح :أبو صهيب الكرمي ,بيت الأفكار الدولية ,ج6 ,ط2 ,بيروت ,2000, ص438 .

3 – محمد رزوق ,المرجع السابق، ص28 .

يقم طويلا لأن تونس كانت وجهته وهدفه,حيث عمل في البلاط الحفصي كاتبا لدى الخليفة الحفصي أبو زكريا ثم تولى الإنشاء في عهد الخليفة المستنصر سنة (647-675هـ)[1].

تأتي بعد هذه المجموعة الجالية التي هاجرت من غرب الأندلس بعد ضياع اشبيلية سنة 646هـ /1249م وهي أكثر أهمية من الأولى كونها كانت مقربة من أبي زكريا الحفصي وأبنائه من بعده ويشير ابن خلدون إليها بقوله :"كانت لأهل اشبيلية خصوصا من بين أهل الأندلس وصلة بالأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص وبنيه".

ومن بين أهم الأسر التي هاجرت نحو تونس أسرة سيد الناس التي بلغت مبلغا عظيما في الدولة الحفصية حيث تقلد أفرادها وظائف مهمة في تسيير شؤون الدولة في عهد الخليفة أبي فارس وابنه أبي زكريا ,كما أشار ابن خلدون [2] .

والجدير بالذكر أن معظم المهاجرين الذين استقروا بالمغرب الأدنى كان جلهم من الفقهاء والعلماء والأدباء, حيث تمت هجرتهم عقب الفتوى التي أصدرها الفقيه الونشريسي[3] والتي توجب الهجرة قائلا:"إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة " ويستدل على ذلك بقوله تعالى :"إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ,فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا, ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغا كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما "[4] .

ثانيا:المرحلة الثانية : بعد سقوط غرناطة 897هـ/1492م :

هذه مرحلة ما بعد السقوط وهو أفجع ما حصل للمسلمين بالأندلس, وقد عرفت هذه المرحلة اشتداد حركة الهجرة بشكل ملحوظ مقارنة بالمرحلة الأولى إذ تحولت الهجرة المحدودة إلى هجرات جماعية.

1 – محمد الطالبي: (الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين) ,الأصالة, وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 26, الجزائر ,1975,ص54 .

2 – ابن خلدون ,المصدر السابق ,ص438.

– الونشريسي: من أشهر مؤلفاته :"المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب "انظر:ابن مريم التلمساني: البستان في 3ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ,ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ,1986, ص53 .

4 – القران الكريم ,سورة النساء ,الآية:{100,99,98}.

ومما أجبر الغالبية على الهجرة والنزوح إلى المغرب هو إنشاء محاكم التفتيش التي تهدف إلى تنصير المسلمين وتطبيق اشد العذاب على من يرفض ذلك,إضافة إلى تشدد فتاوى العلماء في وجوب الهجرة وقد استنكروا البقاء في ديار الكفر وحثوا على ضرورة الهجرة, وقد أفتى الونشريسي بعدم جواز الإقامة في دار الكفر في شأن رجل من الأندلسيين التمس موافقة الفقهاء على البقاء في الأندلس لمعاونة إخوانه الضعفاء والتكلم باسمهم عند السلطات ومداخلة الرؤســـاء.

ويؤكد الونشريسي على وجوب الهجرة لارتباطها بالعقيدة الصحيحة فيقول بعد عرض طويل بقواعد الإسلام:"فكيف يتوقف متشرع أو يشك متورع في تحريم هذه الإقامة مع استصحابها لمخالفة جميع هذه القواعد الإسلامية الشريفة الجليلة"[1] .

وقد كانت وجهة معظم المهاجرين إلى بلاد المغرب الأدنى نتيجة للعوامل التي سبق ذكرها وقد أكد الشهاب الحجري أن عدد كبير من الموريسكيين انتقل إلى تونس بقوله :"...بلغ نهاية جميع الأندلس بصغارهم لثمان ألف مخلوق, أكثرهم خرج بتونس..."

كما أكد المقري نفس الملاحظة بقوله:"...وخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان ومن وهران وجمهورهم خرج بتونس, فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم , وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل منهم من هذه المعرة, وأما الذين خرجوا بتونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها ", وفي هذا القول إشارة إلى أن المهاجرين الأندلسيين قاموا بتعمير البلاد وقراها ,كما ساهموا بشكل كبير في الازدهار الحضاري للمغرب الأدنى بفضل ما حملوه معهم من معارف وخبرات جديدة[2].

وقد صرح القبطان الانجليزي روبرت اليات "Robert Elliatt" أن عدد الموريسكيين بتونس سنة 1615 م حوالي 8000عائلة, في حين حاول الباحث الانجليزي لاتام Latham أن

[1] -أحمد بن أبي الضياف:إتحاف أهل الزمان بأخبارملو ك تونس وعهد الامان ،الدارالعربية للكتاب،ج2،تونس،1999،ص35.

[2] - أحمد بن قاسم الحجري: ناصرالدين على القوم الكافرين،المصدرالسابق،ص41.

يستخرج رقما تقريبيا من العدد المذكور فقده بحوالي 50ألف[1]موريسكي ,لكن المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب يقدر عددهم بحوالي 80الف موريسكي [2] .

إذ لوحظ سنة 1610م بميناء Agede الفرنسي حوالي 30 ألف موريسكي من الأرجوانيين صحبة القنصل التركي الذي نصحهم بالتوجه إلى تونس لأنها أأمن لهم.

أما عن ظروف انتقال هؤلاء فقد استولى القبطان الفرنسي Estienne على ممتلكات الموريسكيين وأنزلهم في شاطئ فارغ قرب بنزرت في 8يناير 1610م,وقد رفعت قضيتهم هذه إلى المحاكم الفرنسية التي أصدرت حكما في إعدام القبطان وحجز سفينته وممتلكاته لتعويض الخسائر التي سببها للموريسكيين.

وقد استقبل الموريسكيين استقبالا حسنا وقد أشارت المصادر الموريسكية بحسن استقبال عثمان داي (1593م-1610م) [3]لهم :"... وكان عثمان داي أميرا فيها (تونس),وتكفل أمورهم بالسكان في المدينة وغيرها في القرى, وأحسن إليهم غاية الإحسان "[4] .

كما أشار إلى ذلك ابن أبي دينار قائلا :"...استوطنوا في عدة أماكن ومن بلدانهم المشهورة , سليمان وبلي ونيانو وقرنبالية وتركي والجديدة وأحضرها , والعالية والقلعة وغير ذلك..."[5] .

وتضيف المصادر الأوروبية امتيازات أخرى منحها عثمان داي للموريسكيين تمثلت في :

- إعفائهم من ضريبة الدخول.
- إعطائهم وسائل الدفاع عن أنفسهم.
- إعفائهم من الضرائب لمدة ثلاث سنوات ,إذ اعتبروا "انكشارية بدون راتب ".
- لم يكونوا يخضعوا لأحكام القادة الأتراك[6] .

---

[1] - Latham,)contribution à l'étude des immigrations Andalous et leur place dans l'histoire de la Tunisie), In Etudes sur les moriscos Andalous en Tunisie,préparé par M de Eplaza et R petit,Grafica international,Madrid,1973,pp21-63.

[2] - محمدرزوق: الأندلسيونوهجراتهمإلىالمغربخلالالقرنين 16-17,المرجعالسابق،ص 155، 158.

3 - Miguel de Epalza,los Moriscos antes y des pues de la expulsion, Espan .a ,Mpfre 1992,p158.

4 - أبو عبد الله بن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس, دار الميسرة،بيروت، 1993, ص228.

5 - نفسه ,ص228.

6 - محمد رزوق , الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17 , المرجع السابق ص159.

2/تصنيف المهاجرين الموريسكيين في المغرب الأدنى"تونس حاليا":

يمكننا تصنيف الموريسكيين في تونس إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى :فئة الأعيان أو الصفوة "العلماء والأغنياء والمثقفين " استقرت هاته الفئة بالعاصمة وأنشأت لها أحياء خاصة مثل :"حومة الأندلس" ,"زقاق الأندلس" .

الفئة الثانية :الفئة المتوسطة"تضم الصناع والحرفيين ومنتجي الخضر والفواكه والصناعات الصغيرة"

(اشتهروا بصناعة الشاشية ونسيج الحرير ونقش الرخام والجبس والزليج) واستقرت هاته الفئة في مراكز بالقرب من المدينة ,أريانا دخدبادا...حيث واصلوا نشاطهم التقليدي [1] .

–الفئة الثالثة : الفلاحون وهي الأكثر عدد من باقي الفئتين السابقتين , استقرت هذه الفئة في المناطق الشمالية بالأراضي الخالية "قليلة السكان" ,كانوا يبحثون باستمرار على المناطق الخصبة القريبة من المياه ,أقاموا على مقربة من البدو حيث انشئوا مناطق سكانية جديدة صالحة للدفاع أو في بقايا لمدن رومانية قديمة مثل :تستور , مادخاس الباب , سلوكين وقلعة الأندلس وفي مناطق قديمة مثل:شبه جزيرة الكابوبو امتزجوا مع السكان الأصليين مثل ماحدث في سليمان [2] .

لم يكن الداي هو الطرف الوحيد الذي ساعدهم ,فقد بادر السكان التونسيون أيضا إلى تقديم كافة المساعدات للموريسكيين , من بينهم" الولي الشهير سيدي أبو الغيث القشاش فقد كان يعطيهم نحو ألف وخمسمائة قرصة من الخبز صدقة..."هذا ما سجلته المصادر الموريسكية نفسها , وسجل ابن الرفيع أيضا أن أبا الغيث القشاش كان يقول في شأنهم : " سلم لي هؤلاء الأنصار الأطهار الأخيار, فإنه لا يحكم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق..."

كما أن المصادر التونسية أوردت صدى هذا الاستقبال :"ولما جاء الأندلس إلى تونس ضاقت بهم المحاجج والطرقات والأسواق والمساجد والديار والمخازن والحوانيت وصاروا يأتون إلى الشيخ ..."[3].

1 – أحمد الحمروني: الموريسكيون الأندلسيون في تونس" دراسة وبيبليوغرافيا",ميديا كوم، تونس, 1998, ص106.

2 – أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنثنت: تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيين"حياة..ومأساة أقلية"،المرجع السابق، ص290–291.

3 – أنطونيو دومنقير وبرنارد بنثنت ,المرجع السابق ص 291.

والسمة البارزة في هذا التواجد الموريسكي بتونس أنهم انصرفوا عن السياسة انصرافا كاملا وإنما اتجهوا فور وصولهم البلاد إلى نقل المظاهر الحضارية الأندلسية في شتى الميادين من علمية وصناعية وزراعية وفنية[1].

كان الموريسكيون يصطدمون ببعض العقبات كجهلهم اللغة العربية خاصة عند أدائهم لشعائرهم الدينية كالصلاة. إذا كان الموريسكوس قد اندمجوا في المجتمع التونسي ,فإنهم لم يفقدوا عوائدهم الإسبانية التي كانت لا تخلو من بعض الطقوس المسيحية لكونهم قد تعايشوا مع النصارى لمدة طويلة تربو عن القرن ونيف من الزمان ,من سقوط غرناطة إلى أواخر أيامهم في القرن السابع عشر, ورغم ذلك التضارب في العوائد والتقاليد, استطاعوا أن يتكيفوا مع الوسط الجديد في تونس آنذاك والذي كان مزيجا من العوائد العربية والتركية[2].

وقد ورد عن المؤرخين الإسبان أن أغلب الموريسكيين الذين هاجروا إلى تونس كانوا ينتمون إلى نواحي أراغون ,وكاطالونيا وقشتالة ,وكان جلهم لا يعرفون العربية, فقد كان العهد متقادما بينهم وبين لغتهم الأصلية ,بسبب عيشهم بين النصارى لأزيد من قرن من الزمن .

لقد كان جل الموريسكوس القادمين إلى تونس لا يتقنون اللغة العربية لأنهم كانوا من الأواخر الذين بقوا في اسبانيا كاتمين إسلامهم متظاهرين بالمسيحية في أواخر القرن السابععشر.وكان من ضمن هؤلاء من كان أصلهم من قشتالة وقد بقوا بها مدة طويلة, وكان يطلق عليهم لقب المدجنون "Almodajares" هذا المصطلح ذكرناه سابقا ,حيث كانوا لا يعرفون إلا اللغة الاسبانية بسبب طول مدة خضوعهم لحكومة النصارى لمدة قرون قبل سقوط غرناطة بل حتى الذين كانوا من أصل غرناطي, فقد ضيعوا اللغة العربية وصاروا يجهلون معرفتها وخاصة في أواخر القرن السادس عشر, إلا النادر منهم والذين كانوا يتكلمون العربية بصعوبة وبصيغة مشوهة , وقد بقي هؤلاء يكتبون في تونس بالاسبانية وسمح لهم بذلك من قبل المسؤولين ,لكن هذه اللغة لم تعمر طويلا بين المهاجرين في تونس حيث أتى جيل جديد معرب ,كما أن السلطات التونسية عملت على إغلاق مدارس

1 – محمد رزوق , المرجع السابق ص 159.

2 – محمد قشتيلو:حياة الموريسكيين الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها،مطابع الشويخ،ط1،تطوان،2001، ص56.

الموريسكوس هذه وتعليمهم اللغة العربية وتم ترجمة جميع المواد التي كانوا يدرسونها إلى العربية و بمساعدة الموريسكي "محمد كورال"[1] .

ونجد أن مؤلف كتاب (نبذة العصر) المجهول قد اهتم بتعداد من هاجر من الأندلسيين إلى بلدان المغرب العربي حيث قال:" ثم بادر المسلمون بالجواز إلى العدوة[2]....وخرج أهل دانية وأهل جزيرة صقلية في أربعة أيام إلى تونس والجزائر والقيروان "[3] .

3/-طريق الهجرة:

كانت هجرة الموريسكيين إلى تونس تتم غالبا عبر مدينة مارسيليا بفرنسا , وقد كان تجار من الموريسكوس أنفسهم يتعاطون لتجارة رحلات الموريسكوس من مرسى مارسيليا إلى تونس ويكون هذا غاليا في بواخر فرنسية لتجنب أعمال القرنصة[4].

ومن بين من اشتهروا في هذه التجارة المدعو "خيرونيمو ازيكس" وهو موريسكي من مقاطعة أرغون باسبانيا ,كان يقيم بمرسيليا ويؤمن رحلات الموريسكوس من اسبانيا إلى فرنسا عبر البر ومن فرنسا إلى تونس عبر بواخر فرنسية , وكان لهذا الموريسكي علاقات مع العثمانيين الذين كانوا يتفاوضون مع فرنسا وفينيسيا قصد السماح للموريسكوس المرور من أراضيهم إلى بعض الدول الإسلامية .

ولا يعرف اتجاه الأندلسيين الذين تجمعوا في قرطا جنة إلا أنهم توجهوا على الغالب إلى تونس ,ومن نقاط التسفير في لقنت وجنية ودانية وساقونتة ومنقوفة نقل الأندلسيون إلى وهران , باستثناء قسم صغير نقل من منقوفة إلى مستغانم , إما الأندلسيون في ابن العروس والآفاق فنقل قسم منهم إلى أرزيو في الجزائر ولا تعرف وجهة القسم الأكبر ولعلها تونس[5] .

1 – نفسه، ص ص56،57.

2 – العدوة :بضم العين المكان المتباعد،ويطلق العرب بر العدوة على ماسامت الأندلس وشمال إفريقيا وبعد عن بلادهم إلى المغرب الأقصى والأوسط والأدنى.أنظر: مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر،مكتبة الثقافة الدينية،ط1،تطوان،1940،ص48.

3 – نفسه، ص48.

4 – محمد قشتيلو،المرجع السابق، ص55.

5 – عادل سعيد بشتاوي:الأندلسيون المواركة، مطابع أنترناشيونال برس، القاهرة،1983 ،ص188.

4/أسباب اختلاف كثافة المهاجرين إلى المغرب الأدنى عن غيرهم نحو البلاد المغاربية:

لم تكن هجرة الموريسكيين إلى تونس بنفس الكثافة التي كانت عليها اتجاه الجزائر والمغرب , وكان هذا الأمر راجع إلى عدة عوامل :

1- لم يكن أمر إقامة دولة موريسكية هينا بتونس , بسبب الهجمات المتكررة البحرية الإسبانية على شواطئها, وكانت الدولة التركية عاجزة عن صدها نظرا للهزيمة التي ألحقت بالبحرية التركية من طرف نظيرتها الإسبانية في معركة لبانتو عام 1572م قرب جزر البليار[1].

2-قرب المسافة بين الأندلس والمغرب والجزائر جعل الموريسكيين يتقاطرون بكثرة على هذين القطرين , خاصة بعد حرب البشرات عام 1568م[2]والتي انهزم فيها الموريسكيون.

3- لم يتقبل التونسيون آنذاك الموريسكيين الوافدين على بلادهم بسهولة , فقد كانت عاداتهم ومظهرهم اقرب إلى النصارى , الأمر الذي جعل التونسيين يرفضونهم بخلاف الموريسكيين الذين دخلوا إلى تونس عن طريق الجزائر والمغرب , فقد كانت أحوالهم لا تختلف عن أحوال أهالي هذين القطرين نظرا للمدة الطويلة التي قضوها فيهما وكانوا هؤلاء هم الموريسكيون الأوائل الذين هاجروا من الأندلس بعد سقوط غرناطة 1492م فكونوا جيلا أو جيلين بالجزائر والمغرب , فكان التونسيون ينظرون إليهم على أنهم مغاربة أو جزائريين .

4-كان للنفوذ العثماني بتونس نظرة خاصة عن الموريسكيين ولم تكن تونس تتمتع باستقلالية في التصرف كما كان الشأن في المغرب , بل حتى في الجزائر التي كان للداي نوع من الحرية , وكان يتصرف دون تفويض من اسطنبول في كثير من الحالات.

-كانت هذه نظرة مقتضية عن الأسباب التي كان لها تأثير سلبي على إقامة الموريسكوس في تونس من حيث العدد[3].

1 - محمد قشتيل،المرجع السابق ص54.

2 - محمد عبده حتاملة:محنة مسلمي الأندلس،المرجع السابق،ص76.

3 - محمد قشتيلو، المرجع السابق، ص54.

5/–نشاط الموريسكيين الأندلسيين في المغرب الأدنى"تونس حاليا":

لقد شمل نشاط الموريسكيين في تونس جل ميادين الحياة منها الاقتصادية والفنية والعسكرية وغيرها[1]

– ففي الميدان العسكري ساهموا في ازدهار صناعة السفن المستعملة في مجال القرصنة كما قاموا بتكوين فرق عسكرية"ميليشيات" وكذلك خبراء في المدفعية .

–أما المجال الثقافي فقد عرف في أيامهم ازدهارا كبيرا لكونهم أتوا بثقافة أيبيرية ساهمت في النهضة الثقافية آنذاك في عصر العثمانيين.

ساهموا كذلك في الميدان الاقتصادي الذي ازدهر بفضل اتصالهم بإسبانيا, كما لا ننسى الميدان الصناعي الذي كان لهم فضل كبير فيه خاصة مع الموجة الكبرى لمهاجريهم في القرن السابع عشر وقد كان من بين الموريسكيين تجار حملوا معهم أموالهم فوظفوها في تونس, ومن بين هؤلاء "مصطفى دي كارديناس"الذي كان يترأس مجموعة من المهاجرين وأحد وجهائها , ومن الموريسكوس من تولى وزارة الاقتصاد , ومما اشتهر به الموريسكوس الصناعات اليدوية التي أتوا بها من الأندلس سواء في الجلد أو الخشب أو النحاس إلى غير ذلك من الموارد , كما تفننوا في صناعة ما يسمى بالشاشية المشهورة بشمال إفريقيا خاصة بالمغرب وتونس , وكان من بين الموريسكيين في تونس شعراء وكتاب نذكر من بينهم المسمى"عبد الرزاق كاراباكا"كما تركوا بتونس آثارا مهمة في فن البناء والزخرفة في الفسيفساء ,وأتقنوا كذلك صناعة النسيج وخاصة الحرير على يد النساء الموريسكيات[2]

أما الزراعة فقد ساهموا في ازدهارها بحظ وفير وذلك لإتقانهم ودرايتهم الكبيرة بميدان ري الأراضي, وقد تعاطوا كذلك لتجارة الجلود التي كانوا يأخذونها من الماشية التي كانوا يربونها في الأراضي الفلاحية, وقد قام الموريسكيون ببناء الحصون العسكرية وعبدوا الطرق بالأحجار حتى يمكن للعربات السير بسهولة وشيدوا المساجد ومن بينها المسجد الشهير بمدينة تيستور وكذلك مسجد سليمان الذي يحتوي على كتابات موريسكية على جدرانه[3] .

1 –محمد عبده حتمالة المرجع السابق ،ص 57.

2 - محمد قشتيلو،المرجع السابق،ص58.

3 - نفسه،ص59.

6/–القرى الأندلسية بالمغرب الأدنى" تونس حاليا":

القرى الأندلسية بتونس موزعة على أربعة مناطق كبيرة:

1–حوض نهر مجردة والمناطق المحيطة بالعاصمة وان كان الوجود الأندلسي هناك يعود إلى القرن الثالث عشر ولا يقتصر فقط على الموريسكيين.

2–السهول الشمالية الموجودة على الطريق بين تونس وبزرت.

3–السهول الشمالية الموجودة بين تونس ومدينة نابل.

4–منطقة زغوان بجوار الجبل الذي يوفر الماء لتونس العاصمة, وكل واحدة من هذه المناطق تتمتع بخصائص معمارية وحضارية ظل بعضها موجودا حتى اليوم مثل: قرية تستور وحفلات الموشحات الأندلسية التي تقام بها كل صيف مدينة غرمباليا التي شيدها مصطفى كارديناس زعيم الموريسكيين[1].

يقول محمد بن أبي دينار في كتابه "المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس":(...ومن بلدانهم المشهورة،سليمان وبلي ونيانو وقرنبالية وتركي والجديدة وزغوان وطبربة وقريش الواد ومجاز الباب والسلوقية وتستور وهي من أعظم بلدانهم وأحضرها، والعالية والقلعة وغير ذلك بحيث تكون عدتها أزيد من عشرين بلدا. فصار لهم مدن عظيمة وغرسوا الكروم والزيتون والبساتين ومهدوا الطرقات بالكراريط للمسافرين، وصاروا يعدون من أهل البلاد)[2].

.

[1]- جريدة جذورالعرب:العدد 9935, الإثنين:2015/06/01, الموقع:http://www.altareekh.com

[2] - محمدالمنوني وآخرون:التاريخ الاندلسي من خلال النصوص , شركة النشر والتوزيع المدارس .ط1, الدار البيضاء1991،ص294.

من خلال ما تقدم ذكره نستنتج مايلي :

- كانت تونس تعيش آنذاك وضعا سياسيا واقتصاديا موسوما بالصعوبة جراء قرن من الحروب والمجاعات ,فموجة الهجرة الأندلسية إلى تونس جاءت بعد فترة قصيرة من السيطرة العثمانية على البلاد عام 1574م ,لذلك كان الأثر الموريسكي ملحوظا وطال العدد من الأوجه.
- الحضور الأندلسي في تونس طبع زمان البلاد ومكانها بتأثيراته الكبيرة تأثيرات تجلت في النسيج المجتمعي التونسي , رغم حرص العائلات الموريسيكية في البدء على التقوقع.
- الموريسكيون خلقوا حركية اجتماعية واقتصادية في تونس طبعت القرن السابع عشر واستمرت نتائجها إلى اليوم.
- العائلات الأندلسية الوافدة على تونس فضلت البقاء والاستقرار في شمال البلاد ,ولم تلج عميقا في دواخلها , وهو خيار يمكن تبريره ببحثهم عما يشبه المعطيات الجغرافية الاسبانية وهو ما يتيح لهم ممارسة عاداتهم وحياتهم الطبيعية.

الخاتمة

لقد كانت الهجرة الأندلسية الى البلاد المغاربية خلال القرن السابع عشر للميلاد، ظاهرة مميزة بمختلف الأشكال التي اتخذتها والتي تعد من أخصب وأزهى الفترات التي مر بها المغرب العربي.

ونودو في ختام هاتـــــــه الدراسة تسجيل ما أمكن من النتائج والملاحظات المهمة التي وصلنا إليها على شكل نقاط:

- التحالف الكبير للممالك النصرانية والمتمثل في" الزواج السياسي" واتفاق كلمتهم على المسلمين الذين كانوا في نزاع وشقاق سياسي والدي دفعوا ثمنه سقوط غرناطة سنة 1492م.
- هجمات الممالك النصرانية كانت مركزة وموجهة لجميع أنحاء وأرجاء الأندلس في ظل ملوكها الذين اتصفوا بالحكمة والحنكة وطول بقائهم في الحكم وهو ما يعكس استقرار الوضع السياسي.
- كانت مملكتا قشتالة والأرغون أشد الممالك النصرانية تصميما على احتلال أراضي المسلمين وقتلهم وتدجينهم أو طردهم ،وهدا من خلال معاونة الكنيسة ودواوين محاكم التفتيش.
- إن الظروف التي مرت بها الأندلس وانتهت بسقوط غرناطة وظهور محاكم التفتيش التي ارتكبت أبشع الجرائم في المسلمين دفعت بمن تبقى منهم إلى الهجرة والتوجه نحو البلاد المغاربية أين ساهموا بدور فعال في رد الغارات الاسبانية على سواحل الشمال الإفريقي.
- شجعت المقومات الطبيعية للبلاد المغاربية من قرب المسافة مع العدوة الأندلسية ،بالإضافة إلى تشابه المناخ على اختيار الأندلسيين الهجرة إليه واتخاذه مقرا أو مستقرا.
- لم تكن ظروف انتقال الموريسكيين إلى شمال إفريقيا ظروفا مواتية،بل تعرضوا إلى السلب والنهب رغم قرارات التطمين الصادرة في هدا الشأن.
- اختلاف ظروف استقبال هؤلاء من طرف سكان شمال إفريقيا من منطقة على أخرى ومن فترة لأخرى.
- لقد حاول الموريسكيون أن يصارعوا مصيرهم بإسبانيا ،وظلوا لسنوات عديدة يعيشون تحت وطأة جهاز القمع الاسباني"محاكم التفتيش"لكنهم لم يستسلموا قط لمصيرهم المحتوم بل ظلوا إلى آخر لحظة من وجودهم بالأندلس ،معتزين بتراثهم الحضاري يقاومون في سبيل المحافظة عليه ،وعلينا أن نشير في الوقت أن مقاومتهم لم تكن اعتباطية ولا ظرفية ،بل كانت تجري في ظل معطيات محددة.

- الظروف العامة التي شهدتها إسبانيا المسيحية من جهة، وظروف المغرب الإسلامي من جهة أخرى كانت سببا في محنة مسلمي الأندلس ،ففي الوقت الذي شهدت فيه إسبانيا وحدة سياسية ،شهد المغرب الإسلامي تفككا.
- تشجيع المسيحية في أوروبا قاضية إلى النيل من المسلمين.
- الحقد الدفين لدى المسيحيين خاصة إسبانيا فلما استعصى الأمر في الشرق(بعد سقوط بيزنطة وفتح القسطنطينية1453 م) نالوا من المسلمين في الغرب(سقوط غرناطة1492 م)

ملاحق

- **الملحق الاول :**

خـريـطـة المـعـارك الكـبـرى في الأندلس[1]

- XXX[1] :موقع المعارك الكبرى في الأندلس

ملاحظة: المفتاح بتصرف الطالبة

[1] - شوقي أبوخليل: أطلس ا لتاريخ ا لعربي الإسلامي،دار الفكر،ط5،دمشق، 2002،ص81

الملحق الثاني:

خريطة تبين الممالك التي اقتسمت ارث الدولة الموحدية

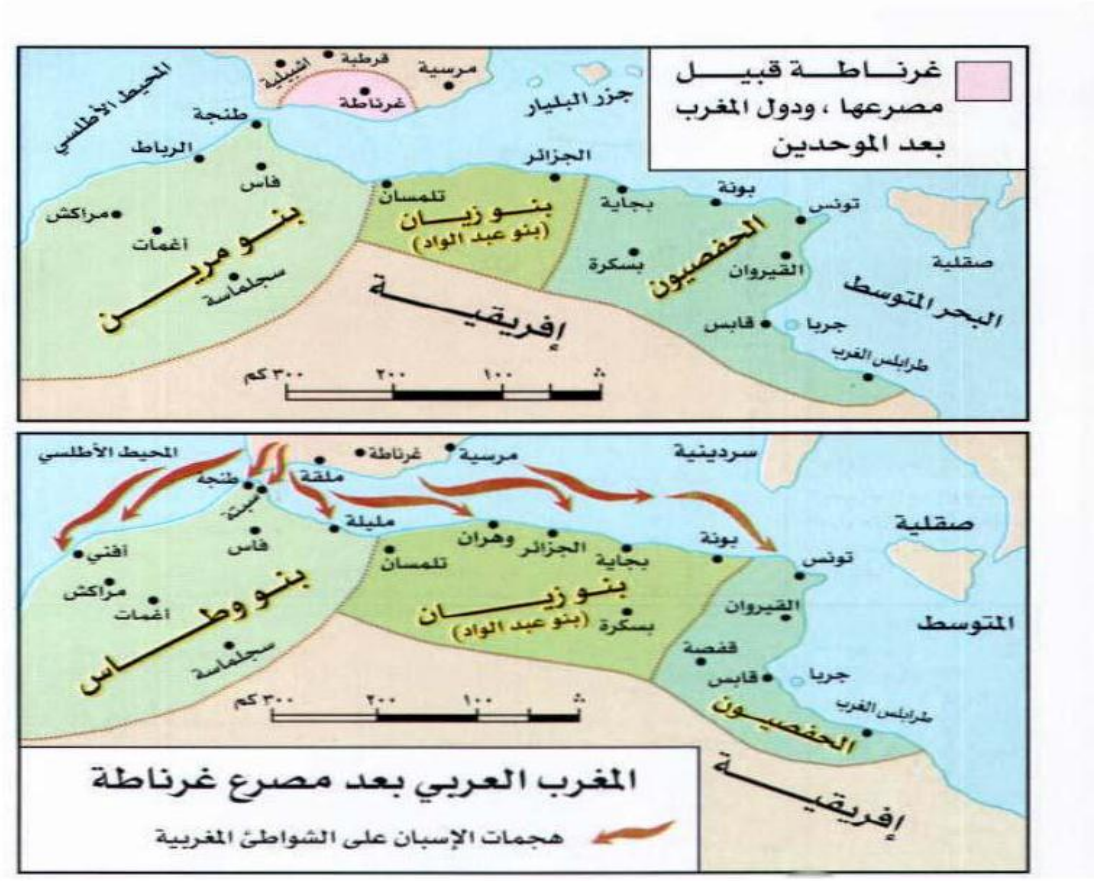

1

[1] - شوقيأبوخليل،المرجعالسابق،ص84.

الملحق الثالث:

خريطة الهجرات الموريسكية إلى الجزائر1492-1614م[1]

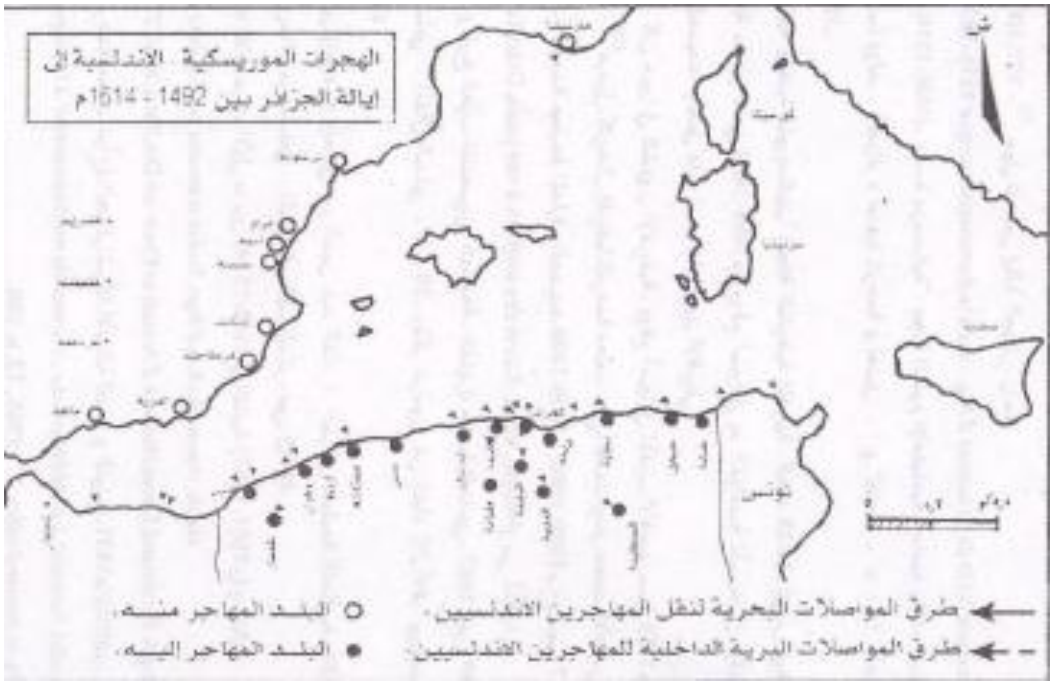

[1] - حنيفي هلايلي: القضيةا لموريسكية في الفضاءالجزائريالعثماني على ضوءفرماناتالعثمانية 1492-1616م،مجلةالحوارالمتوسطي،العدد6،مارس 2014،ص34.

الملحق الرابع:

صورة ملك الأرغونفيردينا ند الخامس[1]

[1] - محمدعبده حتاملة،المرجع السابق،ص18

الملحق الخامس:

صورة ملكة قشتالة إيزابيلا[1]

[1] -محمدعبده حتاملة،المرجع السابق ،ص17.

الملحق السادس:

منصور التعميدألقصري[1]

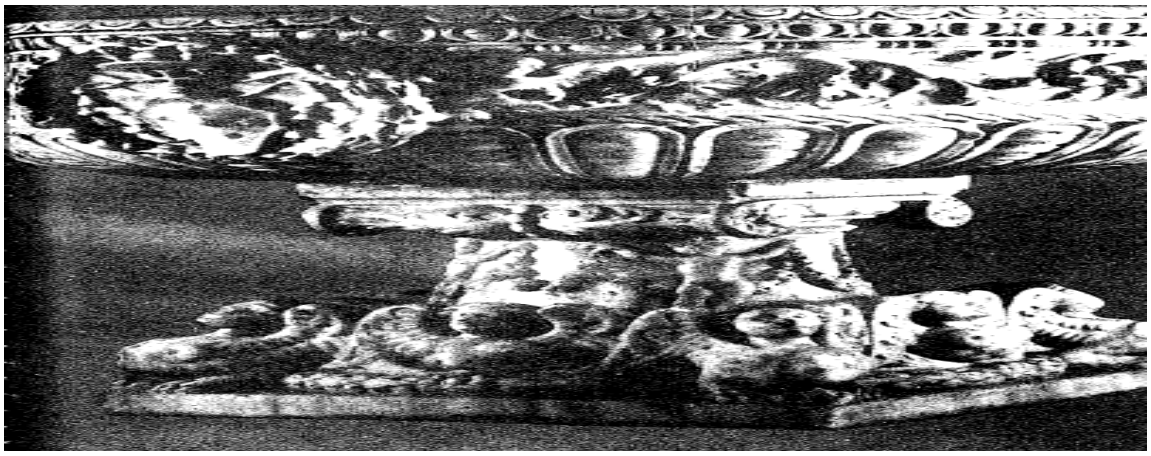

[1] - محمدعبده حتاملة،المرجع السابق،ص89،ص90.

الملحق السابع:

صورة خطاب عبد الله إلى دون فيرنا ندو[1]

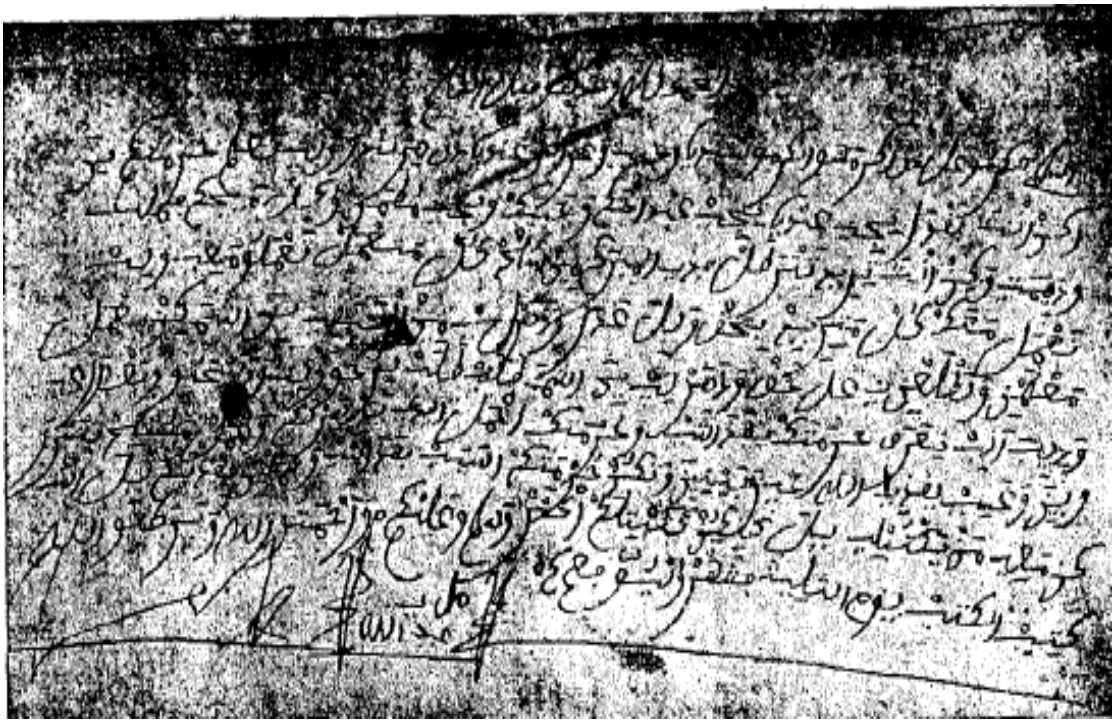

[1] - محمدعبدالله عنان،دولة الأسلام في الأندلس،المرجع السابق،ص373.

الملحق الثامن:

ذيل المعاهدة النهائية التي عقدت بين الملكين الكاثوليكيين وأبي عبد الله الزغل بتاريخ 10 إفريل 1493م، وفيها يتعهد ببيع أملاكه ومغادرة إسبانيا نهائيا، وقد ذيل عليها أبو عبد الله بالقبول وبصمها بخاتمه بتاريخ 23 رمضان 898هـ".

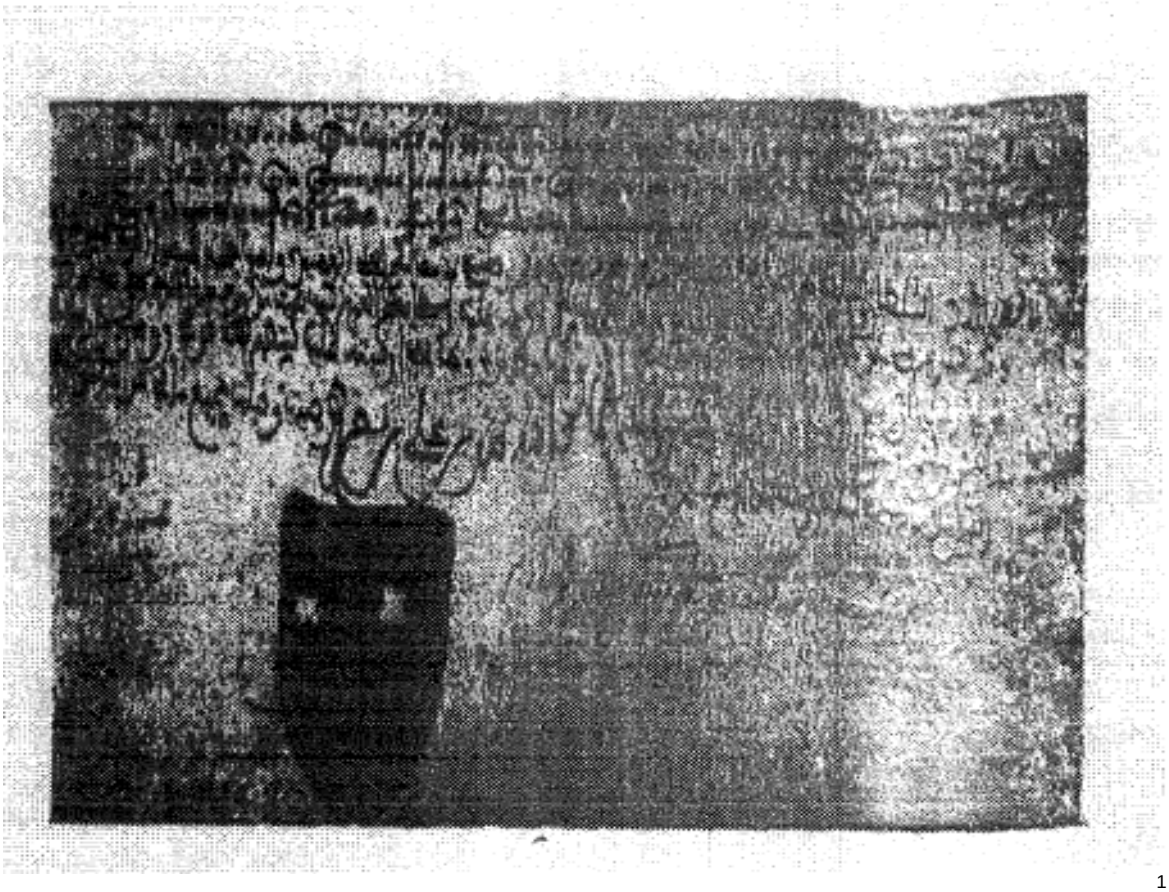

[1]

[1] - محمدعبدالله عنان،الآثار الأندلسية الباقية،المرجع السابق،ص373.

الملحق التاسع:

نص معاهدة غرناطة العلنية:

المادة الأولى:

على ملك غرناطة والقادة و الفقهاء والحجاب والعلماء والمفتين والوجهاء بمدينة غرناطة والبيازين وضواحيها أن يسلموا إلى صاحبي السمو،أو من ينتدبانه للنيابة عنهما في مدة أقصاها ستون يوما،اعتبار من 25 تشرين عام1492م معاقل الحمراء، والبيازين وأبواب تلك المعاقل ،وأبراجا،وأبواب المدينة المذكورة،والبيازين وضواحيها،وضمن هذه الشروط يأمر صاحبا السمو بان لا يصعد أي نصراني السور القائم بين الحمراء والبيازين، لئلا يكشف عورات المسلمين في بيوتهم،وان خالف احد هذه الأوامر يعاقب عقوبة شديدة،وضمن هذا الشرط سيقدم المسلمون الطاعة والإخلاص والولاء كإتباع مخلصين لصاحبي السمو.

وضمانا لسلامة تنفيذ هذه البنود،يقدم أبو عبد الله الصغير ملك غرناطة إلى صاحبي السمو خمسمائة شخص من أبناء وبنات علية القوم، في المدينة والبيازين وضواحيها، وذلك قبيل تسليم الحمراء بيوم واحد،مصطحبين معهم الحجاب يوسف بن قماشه،ليكونوا جميعهم رهائن لدى صاحبي السمو، لمدة عشرة أيام يتم خلالها ترميم المعاقل المذكورة،شريطة إن يعامل الرهائن في هذه الفترة معاملة حسنة،وفي نهاية الأجل المحدد يرد الرهائن إلى ملك غرناطة،ويراعي هذه الاتفاقية صاحبا يرد الرهائن إلى ملك غرناطة،ويراعي هذه الاتفاقية صاحبا السمو وأبناءهما دون خوان وسلالتهم،ويعتبر أبو عبد الله الصغير وسائر قادته، وجميع سكان غرناطةو البيازين وضواحيها وقراها وأراضيها،والقرى والأماكن التابعة البشرات رعايا طبيعيين، ويبقون تحت رعايتهم ودفاعهم ،وتترك لهم جميع بيوتهم وأراضيهم وعقارهم وأملاكهم حاليا و دائما دون أن يلحق بها ضرر أو حيف،وان لا يؤخذ أي شيء مما يخصهم ،بل العكس ،سيتم احترام الجميع ومساعدتهم ويلقون المعاملة الطيبة كخدم وإتباع لهما .

المادة الثانية:

في الوقت الذي يستلم صاحبا السمو قصر الحمراء،يأمران إتباعها بالدخول من بابي العشار ونجدة،ومن الحقل القائم خارج المدينة وعلى من يعين لاستلام الحمراء أن لا يدخل من وسط المدينة .

المادةالثالثة:

في اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء و البازين،و شوارعهما و قلاعهما وأبوابهما وغير ذلك،يقوم صاحب السمو بتسليم ابن الملك أبي عبد الله الصغير،المحتجز في قلعة مولكين،مع سائر الرهائن الموجودين معه وسائر الحشم الذين برفقته،ولا يكرهون على التنصير أثناء احتجازهم.

المادة الرابعة:

يسمح صاحبا السمو و سلالتهما للملك أبي عبد الله الصغير وشعبه أن يعيشوا دائما ضمن قانونهم أي ممارسة الشعائر الإسلامية دون المساس يسكانهم وجوامعهم وأبراجهم،وسيأمرون بالحفاظ على مواردهم، وسيحاكمون بموجب قوانينهم وقضاتهم، حسبما جرت عليه العادة وسيكونون موضع الاحترام من قبل النصارى، كما تحترم عاداتهم وتقاليدهم إلى غير الحين.

المادة الخامسة:

لن تصادر من المسلمين أسلحتهم أو خيولهم أو أي شيءآخر،حاضرا والى الأبد،باستثناء الذخيرة الحربية التي يجب تسليمها لصاحبي السمو.

المادة السادسة:

يسمح لمن يرغب في الجواز إلى العدوة أو أي مكان آخر،من أهالي غرناطة و البيازين و البشرات و المناطق الأخرى،التابعة لمملكة غرناطة ببيع ممتلكاتهم وأراضيهم لمن شاءوا،ولن يحاول صاحبا السمو وذريتهما منعهم من ذلك أبدا، وإذا ما رغب صاحبا السمو بشرائها من أموالهم الخاصة،فشانهما في ذلك شان سائر الناس،لكن الأولوية تكون لهما.

المادة السابعة:

الأشخاص الذين يرغبون في العبور إلى العودة تجهز عملية نقلهم في غضون ستين يوما من تاريخه،على متن عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم ،حسب رغبة المبحرين ليحملوا أحرارا وطوع إرادتهم إلى المكان الذي يرغبون النزول إليه فيما بينهم وراء البحر ارض المغرب خاصة الموانئ التي كانت ترسو بها تلك السفن.

أما الأشخاص الذين يرغبون في العبور في غضون الأعوام الثلاثة القادمة فتهيأ لهم السفن الخاصة من الموانئ القريبة لمكان إقامتهم،شريطة أن يقدموا طلباتهم قبل موعد الرحيل بخمسين يوما، وينقلونبرعاية تامة إلى الميناءالذي يرغبون النزول فيه،ولا يترتب على من يريد العبور إلى العدوة خلال الأعوام الثلاثة هذه أجر أو نفقة، أما الذين يرغبون في العبور بعدانتهاء الأعوام الثلاثة،فعليهم دفع دوبلة واحدة فقط عن كل شخص، أما الذين لا يتمكنون من بيع أملاكهم الموزعة في جميع أنحاء مملكة غرناطة قبل سفرهم، فيحق لهم تفويض أي شخص من اجل تحصيل حقوقهم، وليقوموا مقامهم،ويتولوا بعد أي شخصمن اجل حقوقهم،وليقوموا مقامهم،ويتولوا بعد ذلك إرسال هذه الحقوق لأصحابها أينما كانوا وبدون أية عوائق.

المادة الثامنة:

لا يرغم صاحبا السمو وسلالتهما حاضرا والى الأبد المسلمين وإعقابهم على وضع أية شارة مميزة لملابسهم .

المادة التاسعة:

لا يحق لصاحبي السمو لمدة ثلاث سنوات من تاريخه تحصيل الإتاوات من الملك أبي عبد الله الصغير و سكان غرناطة والبيازين وار باضهما،وهي الإتاوات التي يترتب أداؤها عن دور وأملاكهم المورثة،بل يكفي أن يدفع المسلمون لصاحبي السمو،عشر الخبز والذرة وعشر المواشي خلال شهري نيسان ومارس.

المادة العاشرة:

على الملك أبي عبد الله وسائر سكان المملكة الذين شملهم الاتفاقية أن يطلقوا سراح جميعالأسرى النصارى،الذين في قبضتهم أو في أي مكان آخر طواعية ودون أية فدية،وذلك حين تسلم المدينة.

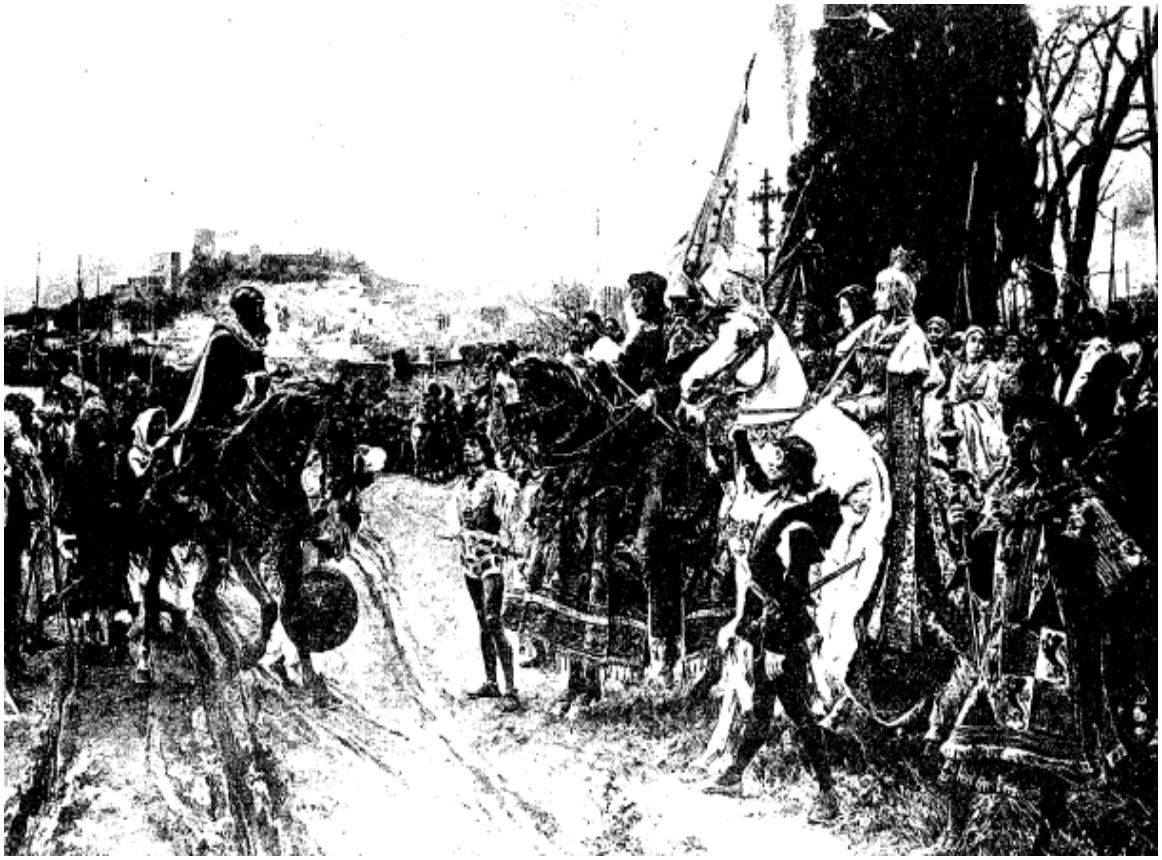

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع:

ملاحظة:تسقط إبن وأبو من البيبليوغرافيا وفهارس الأعلام والقبائل والجماع

القرآن الكريم

أولا:المصادر:

إبن القنفذ القسنطيني:الفاسية في مبادئ الدولة الحفصية،تحقيق محمد الشاذلي النيفي وعبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر،تونس1968م.

ابن خلدون عبد الرحمان:العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،تحقيق أبو صهيب الكرمي،بيت الأفكار الدولية،الجزء السادس،ط2،بيروت200م.

ابن خلدون عبد الرحمان:مقدمة إبن خلدون،دار يعرب،المجلد الثاني،2004م.

أبي يعقوب أحمد بن اسحاق: البلدان ، دار الكتب العلمية ،لبنان2002م

الأفراني محمد الصغير:نزهة الحالي بأخبار ملوك القرن الحادي،مطبعة علي بردين،باريس1988م.

بن أبي الدنيار عبد الله:المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،دار الميسرة،بيروت،1993م.

بن أبي الضياف أحمد:إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،الدار العربية للكتاب،الجزء الثاني ،تونس،1999م.

بن قاسم أحمد الشهاب الحجري:ناصرالدين على القوم الكافرين،تحقيق محمد رزوق، الدارالبيضاء،1987م.

التلمساني ابن مريم:البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986م.

التلمساني أحمد المقري:أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري،الجزء الأول،1942م.

التلمساني أحمد المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق إحسان عباس،دار المصادر للنشر والتوزيع،الجزء الرابع،دار المصادر للنشر التوزيع،بيروت،1968م.

جوليان أندري:إفريقيا الشمالية،تحقيق محمد مزالي والبشير بن سلامة،مؤسسة تاوالت الثقافية،2011م.

الحموي ياقوت:معجم البلدان،مركز زايد للتراث والتاريخ،الإمارات،2004م.

الزياني محمد بن يوسف:دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران،الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،1978م.

الشريف الأدريسي أبي عبد الله: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس،تحقيق وتعريب إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.

القشتالي عبد العزيز:مناهل الصفا في مآثر موالين الشرفاء،تحقيق عبد الكريم،مطبوعات الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية،المغرب.

مجهول تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية،تحقيق عبدالرحيم بنجادة،مطبعة دار تينمل،ط1،مراكش،1994.

مجهول:كتاب غزوات عروج خير وخير الدين،تصحيح وتعليق نوردين عبدالقادر،الجزائر،1934م.

مجهول:نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر،مكتبة الثقافة الدينية،ط1،تطوان،1940م.

ثانيا: المراجع:

أبو خليل شوقي:وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة القصر الكبير،دار الفكر،ط1،دمشق،1988م.

ألتر سامح عزيز:الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،ترجمة محمود علي عامر،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت.

-المنوني محمد وآخرون:التاريخ الأندلسي من خلال النصوص،شركة النشر والتوزيع المدارس،ط1،الدار البيضاء،1991م.

الأمام محمد فروق:معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا،دار المأمون للنشر والتوزيع،الرياض،2008م.

أنطونيو دومنغيث أوتيث وبيرنارد فانسون: تاريخ الموريسكيين ،"حياة...ومأساة أقلية"ترجمة محمد بنياية،هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة،ط1، الإمارات،2013م.

أنطونيو دومنغير هورتز:تاريخ مسلمي الأندلس،ترجمة عبد العال صالح،دار الشرق للطباعة والنشر،ط1،قطر،1988م.

بشتاوي عادل سعيد:الاندلسيون المواركة،مطابع أنترناشونال برس،مصر،1983م.

ج.سكولان:الأندلس،ترجمة إبراهيم ماخور رشيد وآخرون،دار الكتاب اللبناني،ط1،لبنان،1980م.

جان سرينيه وآخرون :موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر،الجزء الثاني،بيروت،1955م.

الجمل شوقي عطاالله:المغرب العربي الكبير في العصر الحديث،الأنجلو المصرية،ط1،القاهرة،1977م.

حتاملة محمد عبده:الإعتداءات الإفرنجية(الصليبية)على ديار العرب في الأندلس والمشرق،الأردن،2001م.

حتاملة محمد عبده:التنصير القسري،الجامعة الأردنية ،ط1،الاردن،1980م.

الحجي علي عبد الرحمان:التاريخ الأندلسي،دار القلم،ط3،بيروت،1981م.

حجي محمد:الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ،منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،المغرب،1978م.

حجي محمد:موسوعة أعلام المغرب،دار المغرب الإسلامي،الجزء الثالث،لبنان،1996م.

حركات ابراهيم:المغرب عبر التاريخ منذ بداية المرينيين إلى نهاية السعديين،الجزء الثاني ،دار الرشاد الحديثة ،المغرب1978م.

حمادي عبد الله:الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس(1462-1616)،المؤسسة الوطنية للنشر،الجزائر،1989م.

الحمروني أحمد:الموريسكيون في تونس"دراسة وبيبليوغرافيا"،ميديا كوم،تونس ،1998م.

حومد أسعد:محنة العرب في الأندلس،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط2،بيروت،1988م.ن

الخطيب مصطفى عبد الكريم:معجم المصطلحات والألقاب التاريخية،مؤسسة الرسالة،بيروت،1996م.

خير محمد فارس:تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،المطبعة الجديدة،دمشق،1982م.

داود محمد:تاريخ تيطوان،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط،1998م.

ذاالنون عبد الواحد طه حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة،دار المدار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع،ط1،بيروت.

رائف أحمد:وتذكروا من الأندلس الإبادة،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.

رزوق محمد:الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنيين 16-17م،مطابع إفريقيا الشرق،ط3،الدار البيضاء،1998م.

رزوق محمد:دراسات في تاريخ المغرب،إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع،ط1،الدار البيضاء،1991م.

السامرائي خليل ابراهيم وآخرون:تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الوطنية،ط1،ليبيا،2000م.

السرجاني راغب:قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة،ط1،القاهرة،2011م.

سعد الله أبو القاسم:تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي،ط1،الجزء الأول،بيروت،1998م.

سعيدوني نصر الدين:تاريخ العرب السياسي في المغرب،دار النهضة العربية،ط1،بيروت،1988م.

سوايدان طارق:الأندلس التاريخ المصور،شركة الإبداع الفكري،ط1، الرياض،2005م.

الشطشاط حسن علي:نهاية الوجود العربي في الاندلس ،دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة ،2001م.

عنان محمد عبد الله:دولة الإسلام في الاندلس،مكتبة الخانجي،ط4،القاهرة،1997م.

قشتيلو محمد:حياة الموريسكيون الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها ،مطابع الشويخ،ط1،تيطوان،2001م.

قنان جمال:معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619-1830م)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1987م.

كارديك لوي:الموريسكيون الاندلسيين و المسيحيون،ترجمة عبد الجليل التميمي،ط2،زغوان،1989م.

الكامون أحمد ،هاجم السقلي:التأثير الموريسكي في المغرب،مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،المغرب،2010م.

كريم عبد الكريم:المغرب في عهد الدولة السعدية،جمعية المؤرخين المغاربة،ط3،الرباط،2006م.

مصطفى عبد الرحيم أحمد :أصول التاريخ العثماني،دار الشروق،ط1،القاهرة،1968م.

ميغيل أنخيل بونيس إيبارا:الموريسكيون في الفكر التاريخي،ترجمة وسام محمد جزر،المجلس الأعلى للثقافة،ط1،القاهرة،2005م.

هلايلي حنيفي:أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي،دار الهدى ،الجزائر،2010م.

هنري تشارلس لي:العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة،ترجمة حسن سعيد الكرمي،دار لبنان للطباعة والنشر،بيروت،1989م.

وليام سبنسر:الجزائر في عهد رياس البحر،ترجمة عبد القادر زبادية،دار القصبة للنشر ،الجزائ،2006م.

يحياوي جمال:سقوط غرناطةومأساة الأنلسيين،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،تلمسان،2011م.

ثالثا :الرسائل الجامعية :

بن يوسف مفيدة:الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيرها الحضاري على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني،رسالة ماجستير.

بوعامر مريم: الهجرة الاندلسية الى المغرب الادنى ودورها في الازدهار الحضاري رسالة ماجستير بتاريخ المغرب الاسلامي جامعة تلمسان 2009-2010م

رضوان نبيل عبدالحي:جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، رسالة دكتوراه،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،1987م.

زيوان سمية: العلاقات الخارجية لدولة السعدية القرن 10هـ/16م.رسالة ماستر جامعة عمار ثليجي الاغواط2014-2015م.

القويزي فاطنة:الموريسكيون وتاثيرهم الثقافي في بلاد المغرب خلال القرنين (15-18م) رسالة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة المسيلة.2012-2013م.

الميلق عبد القادر :تاثير ثورات الموريسكين الاندلسين على العلاقات الجزائرية الاسبانية(897-1017هـ/1492-1609م) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث .جامعة غرداية.2012-2013م

هلالي حنيفي:الموريسكيون الاندلسيون في المغرب الاوسط خلال القرنين (16-17م) رسالة ماجستير

رابعا:الصحف والمجلات:

جريدة جذور العرب: ع9935 ،الإثنين 2015/06/01م.

الحفناوي حسين:العلاقات الفرنسية الموريسكية،مقال 11/27 /2013م

حمد المشهداني مؤيد محمود:أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني(1518-1830م)،مجلة الدراسات التاريخية الحضارية،مج5، ع16، 2013م.

الطالبي محمد :الهجرة الاندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين ،الأصالة،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع26،الجزائر، 1975م.

كتوم عبد الله:عبد الله المعتصم بطل معركة واد المخازن .مجلة المناهل ع13.الرباط1978م

الكيسي خليل إبراهيم:هجرة الأندلسيين وتهجيرهم إلى المغرب العربي،مقال،كلية الآداب ،جامعة بغداد.

ميغال دي إيبالزا:بعض الوثائق الإسبانية المتعلقة بتاريخ المغرب خلال القرنين(13-19)،مجلة الأصالة،مجلة تصدرها و.ت.أ.ش.د، ع52،الجزائر،ديسمبر1977م.

هلالي حنيفي:القضية الموريسكية في الفضاء الجزائري العثماني على ضوء الفرمانات العثمانية،مجلة الحوار المتوسطي، ع2،جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس،الجزائر،مارس 2014م.

هلايلي حنيفي: الاندلسيون في كتابات احمد المقري التلمساني. التراث العربي.

خامسا:المصادر والمراجع الأجنبية:

-denis,brahimi,(Qul ques jugements sur les maures Andalous dans les régences turques),in,R,H,C,M(N°9),juillet,1970.

-Latham,(contribution à l'etude de immigration Andalous et leur place dans l'histoire de la Tunisie, In Etude sur les Moriscos Andalous en Tunisie,préparé par M,de Eplza et R petit,Grafica international, Madrid.

-Marmol Carvajal,Historia de la rebilion y castigo de los Moriscos.

-Miguel de Epalza,los Moriscos antes y des pues la expulsion,Espan,a,Mpf re,1992.

الفهرس

تشكر

اهداء

قائمة المختصرات

مقدمة .....أ

الفصل الأول:الوضع السياسي في إسبانيا :864-897هـ/1469-1492م

1-شرح مصطلح الموريسكيين.....08

2-استكمال إسبانيا لوحدتها السياسية864هـ/1469م.....10

3-سقوط غرناطة 1492م.....13

4-ثورات الموريسكيين الأندلسيين.....16

-ثورة البيازين 904هـ/1499م.....17

-ثورة البشارات 906هـ/1501م.....19

5-محاكم ودواويين التفتيش.....22

6-أسباب طرد الموريسكيين.....24

الفصل الثاني:الهجرات الموريسكية للمغرب الأقصى بعد محاكم التفتيش1609م

1-فترة العهد الوطاسي.....33

2-فترة العهد السعدي الأول.....33

3-فترة العهد السعدي الثاني.....45

الفصل الثالث:الهجرات الموريسكية للمغرب الأوسط بعد محاكم التفتيش 1609م

1-مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط.....54

-المرحلة الأولى: قبل سقوط غرناطة1492م.....54

-المرحلة الثانية:الهجرة الممتدة مابين 1492-1609م.....54

-المرحلة الثالثة:الهجرة الأخيرة الممتدة مابين 1609-1614م.....62

2-نتائج الهجرة الاندلسية إلى المغرب الأوسط.....65

الفصل الرابع:الهجرات الموريسكيين للمغرب الأدنى بعد محاكم التفتيش 1609م

1-مراحل الهجرات الموريسكية في المغرب الادنى.....70

-المرحلة الأولى: قبل سقوط غرناطة897هـ/1492م.....70

-المرحلة الثانية:بعد سقوط غرناطة897هـ/1492م.....72

2-تصنيف المهاجرين الموريسكيين في المغرب الأدنى.....75

3-طريق الهجرة.....77

4-أسباب اختلاف المهاجرين إلى المغرب الأدنى عن غيرهم نحو البلاد المغاربية.....78

5-نشاط الموريسكيين الأندلسيين بالمغرب الأدنى.....79

6-القرى الأندلسية بالمغرب الأدنى.....80

خاتمة 83

ملاحق 86

قائمة المراجع 108

الفهرس المحتويات.....116